وَاجِبُ العُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ

نَحْوَ تَحْرِيرِ فِلَسْطِينَ وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى



تأليف

أبي عبد الله

محمد يسري إبراهيم

دار اليسر

واجب العلماء والدعاة

نحو تحرير فلسطين والمسجد الأقصى









عضو اتحاد الناشرين المصريين

ترقيم دولي

978-625-00-7836-5

واجب العلماء والدعاة

نحو تحرير فلسطين والمسجد الأقصى

الطبعة الأولى ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤ م

فهرسة أثناء النشر

إبراهيم، محمد يسري.

واجب العلماء والدعاة نحو تحرير فلسطين والمسجد الأقصى.

تأليف: محمد يسري إبراهيم.

القاهرة، دار اليسر ٢٠٢٤م.

١٨٢ ص، ١٧ × ٢٤سم.

تدمك: ٩٧٨٦٢٥٠٠٧٨٣٦٥

١- فلسطين

٢- قضايا معاصرة

أ- العنوان

٩٥٦

٢١ ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة، الحي الثامن

مدينة نصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٢ ٢٣٥٧٢٣٤٠ محمول: ٠١٠٦٢٢٧٦٢٠٨

خدمة عملاء: ٠١١١٨٠٠٦٠٦٠

www.dar-alyousr.com

Email: alyousr@gmail.com

info@dar-alyousr.com

وَاجِبُ العُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ

نَحْوَ تَحْرِيرِ فِلَسْطِينَ وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى

تأليف

أبي عبد الله

محمد يسري إبراهيم




بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله خلق اللوح والقلم، وأوجد الخلق من عدم، علا فقهر، وملك فقدر، وعفا فغفر، وعلم فستر، وهزم ونصر، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على النبي الأمي سيد البشر، وعلى آله وأصحابه الأنجم الزُّهُر، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن العلماء الدعاة، والدعاة العلماء، هم ورثة الأنبياء، وصفوة الأولياء، فَضلُهم أجلُّ من أن يُحاطَ بقدره، وأعظم من أن يُدرَك جليلُ خطره، رفع الله منزلتهم؛ فلا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وجعل قولهم أحسن القول؛ فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فهم فوق الخلق درجات، وهم رُتبٌ وطبقات! قد حملوا عبء الإصلاح علمًا وعملًا وحالًا، أولئك الرَّبَّانيُّون، والأئمة المُتَّبَعون، والأبرار المتقون، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، عنهم تَصْدُر الأمة في المُهِمَّات، وإليهم تَفزَع في المُلِمَّات، فهم حجج الله على الخلق، وهم طرق الدلالة على الحق.

حجج الإله على الورى علماؤهم ... في كل عصرٍ بعد كل رسولِ

وما من قضية من قضايا الأمة إلا وللدعاة العلماء فيها توجيه يصدر عن

علم بالواقع، وفهم للواجب في الواقع؛ ذلك أن العالم الداعية هو من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله في نوازله وقضاياه.

وبهذا الفقه العلمي الدعوي الرشيد تُسَدَّدُ الفتاوى في القضايا والمستجدات، وتُحَقَّق البصيرة لدى الدعاة، وعن طريقه تستبين سبيل المجرمين، وتُعَرَّى مناهج المنحرفين!

والعلماء الدعاة الربانيون واعون بقضايا أمتهم، وعلى رأس تلك القضايا: قضية فلسطين، فهي قضية الأمة ضمن قائمة طويلة من الخطوب الجسام، والنوازل العظام!

والأمة في كل زمانٍ ومكانٍ تتلفَّتُ بحثًا عن قيادتها العلمية والدعوية تستلهِم منها الرُّشد إذا ادلهمَّت الخطوب، وتتلمَّس المخارج إذا اضطربت المسالك!

ولا تخلو هذه الأمة -بحمد الله- من قائمٍ لله بالحجَّة والبيان، ومؤيَّدٍ من الله تعالى بالقبول والبرهان!

واستجابةً لما ورد من السؤال المتكرِّر عن واجب العلماء والدعاة تجاه قضايا الأمة بعامة، وفلسطين وقضيتها الحالَّة بخاصة، فقد جرى بذلك المطلبِ المدادُ مستلهِمًا من الله الهدى والسداد، واللهُ تعالى المسئولُ أن يُجَنِّبَ القلمَ الزَّلل، وأن يفتح باب البذل والعمل؛ إنه واهب النعم، والمتفضل بواسع الكرم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وسوف يدور هذا الكتاب على نقاط معدودة، ووقفات محدودة، بيانها كالتالي:

مقدمة:

الفصل الأول: الواجب نحو فلسطين وكل قضايا المسلمين.

الفصل الثاني: النصرة فرضٌ عَقَديٌّ، فرديٌّ وجماعيٌّ.

الفصل الثالث: النصرة: حكم فقهي، وواجب عملي.

الفصل الرابع: النصرة: خُلُقٌ إيماني، ومسلك تربوي.

الفصل الخامس: النصرة: منهج اجتماعيٌّ، ومسعًى تكافليٌّ.

الفصل السادس: النصرة: جهاد عسكري، وعمل ميداني.

الفصل السابع: النصرة: موقف سياسي، وميثاق أممي.

الفصل الثامن: النصرة: حكم قضائي، ومبدأ قانوني.

الفصل التاسع: صفحات من نصرة العلماء والدعاة لقضايا المسلمين.

الفصل العاشر: العقيدة في الأقصى، والقدس، وفلسطين (العقيدة المقدسيَّة).

الفصل الحادي عشر: خطوات العلماء والدعاة في طريق النصرة.

الفصل الثاني عشر: نصرةُ قضية فلسطين نصرةٌ لمجتمعات المسلمين.

الفصل الثالث عشر: مبشرات النصر وصور من انتصار الطوفان.

الفصل الرابع عشر: خلاصات من دروس طوفان الأقصى.

الفصل الخامس عشر: فتاوى علماء الأمة حول نصرة الأقصى وفلسطين.

الخاتمة.

وعلماء الأمة الصادقون في نصرة قضية الأقصى يبذلون وسعهم في بيان الحق، وإرشاد الخلق، ويتقدمون الصفوف بالأفعال بعد الأقوال ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، يثبتون القلوب، ويبشرون بنصر علام الغيوب، ويحثون القاصي والداني على بذل الجهد واستفراغ الوسع في تحقيق ذروة سنام الإسلام، فهو بيعة ماضية في أعناق المؤمنين، وصفقة رابحة، وتجارة رائجة، ونقض البيعة، ونكث الصفقة هو الخسران المبين، وعين الفتنة في الدين!

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله

محمد يسري إبراهيم

الدوحة: ١٤٤٥/١١/١٠ هـ.

٢٠٢٤/٥/١٨م.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الواجب نحو فلسطين وكل قضايا المسلمين

إنها كلمة واحدة وراءها ما لا يُحصى من الفعال وصالح الأعمال.

إنها: النصر، والنصرة، والانتصار!

قال سبحانه: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وفي الحديث: «**مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِالْغَيْبِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»[١].

وقال رجل لرسول الله ﷺ: «على مَن نُصرتي؟ فقال ﷺ: **عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ،** أو قال: **كُلِّ مُسْلِمٍ**»[٢].

هَـذِي فِلَسْـطِينُ تَـدْعُوهُمْ لِنُصْـرَتِهَا وَيَصْرُخُ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى وَسَيْنَاءُ[٣]

والنصر والنصرة والانتصار تكون باليد واللسان، والبنان والجنان، ولكل منها أعمال كثيرة، وواجبات عديدة، كلُّها تدخل تحت مفهوم النصرة لفلسطين وأهلها، وللقدس ومسجدها الأقصى المبارك.

---

(١) أخرجه البزار (٣٥٤٢-البحر الزخار)، والطبراني في الكبير (٩/ ٣١) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥١٩)، وابن ماجه (٢٦٨٠)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) ديوان وليد الأعظمي - من قصيدة قالوا: زيارةُ شيخ (ص ١٩٠).

بِقُرْآنِـــــــي وَإِيْمَـــــــانِي وَتَكْبِيْـــــــرَاتِ إِخْـــــــوَانِي
أَهُـــــزُّ الْكَـــــافِرَ الْجَـــانِي وَأَحْمِـــي مِنْـــهُ أَوْطَـــانِي (١)

إن ما يجري في فلسطين كلَّ يوم هو احتلال وتدنيس للمقدسات، وسفك لدماء الأبرياء من الأطفال والشيوخ والنساء، وعنفٌ وبغيٌ وإجرام!

والنصرة لها طريقٌ واحدٌ هو ذروة سنام الإسلام، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، فالجهاد هو النصرة، والنصرة مشروعة؛ بل مأمورٌ بها، دفاعًا عن العرض، والأرض، والمقدسات!

خَلُّـوا الطَّرِيـقَ لَنَـا فَـنَحْنُ النَّـاسُ أَمَّـا الَّـذِينَ بَغَـوا فَهُـمْ أَنْجَـاسُ
مَسْـرَى النَّبِـيِّ لَنَـا جَمِيعًـا كُلُّـهُ لَا النِّصْفُ لَا الْأَرْبَاعُ لَا الْأَخْمَاسُ
وَلَيَنْصُـــرَنَّ اللهُ نَاصِـــرَ دِيْنِـــهِ هَـذَا هُـوَ الْمِعْيَـارُ وَالْمِقْيَـاسُ (٢)

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧].

---

(١) ديوان وليد الأعظمي- من قصيدة نشيد الانتفاضة (ص٣٦٨).

(٢) أبيات من قصيدة: صوت حماس، د. جابر قميحة، والتي نشرها على موقعه الرسمي عام ٢٠٠٥م.

عهــدٌ علــى الأيَّــامِ ألا تُهزَمــوا　　النصـر ينبـت حيـث يرويـه الـدمُ

إن الواجب نحو الجراح النازفة، والمآسي المؤلمة التي يتعرض لها المسلمون في بورما وكشمير وتركستان الشرقية والهند هو نفس الواجب الذي يجب لأجل فلسطين سواء بسواء! إنه النصرة بكل معانيها وبمختلف صورها ومضامينها.

وفيما يأتي بيانٌ لمؤيِّداتٍ شرعية واجتماعية، وإنسانية وسياسية لواجب النصرة الذي تفرضه الشريعة الإسلامية.



الفَصۡلُ الثَّانِي

النصرة فرضٌ عَقَديٌّ، فرديٌّ وجماعيٌّ

إن الموالاة بين المؤمنين عقيدة راسخة، وفريضة إيمانية واجبة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥- ٥٦].

وفي الحديث قال النبي ﷺ لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ**؟ قال أبو ذرٍّ: الله ورسوله أعلم، قال: **المُوَالَاةُ فِي اللهِ، وَالمُعَادَاةُ فِي اللهِ، وَالحُبُّ فِي اللهِ، وَالبُغْضُ فِي اللهِ**»[١].

فالمؤمنون: «أولياءُ بعضٍ في الدين، واتفاق الكلمة، والعون، والنصرة»[٢].

وأهل (لا إله إلا الله) يتناصرون فيما بينهم بالحقِّ، ويتعاضدون بصدقٍ.

ومما لا شك فيه: أن لكل أهل القبلة نصيبًا من الولاء- محبةً ونصرةً- بحسَب ما عندهم من الحق والإيمان والصلاح.

فالولاء يتحقق أصلُه بتحقق أصل الإسلام، ويتفاوت بتفاوت أهل القبلة قربًا وبعدًا من السنة، وعلى كل حالٍ، فإنهم- حالَ البغي عليهم من أعداء

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٢٥).

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٣٦٩).

الملَّة- تجب نصرتهم، كما يُستعان بهم في نصرة الإسلام، والدفع عن أهله، فيُعَانُون على الكفار، ولا يُستَعان بكافرٍ عليهم.

والروابط النَّسَبية، والإنسانية، والوطنية، والإقليمية في حدودها مَرعية؛ شريطة ألَّا تُحِلَّ حرامًا، ولا تُحرِّم حلالًا، ولا تتقدم على رابطة الأخوة الإسلامية!

وقد قال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

إن الولاء بين أهل الإسلام يقتضي محبةً ونصرةً، تُترجم عنهما القلوب بالمحبة، والألسن بالدعاء، والأيدي بالبذل والعطاء، وبالجهاد وحسن البلاء!

إن رابطة الفرح للانتصارات، والحزن للانكسارات- هي فرع رابطة (لا إله إلا الله) الجامعة بين أهلها في المشارق والمغارب، وهي رابطة إيمانية يعقدها الله في قلوب أهل الإيمان، فهي نعمة ربانية، ومِنَّةٌ إلهية!

قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وهذا التوالي والتآخي واجب جماعيٌّ بين الشعوب، كما هو فرديٌّ بين الأشخاص، والخطاب الشرعي يأتي للفرد والجماعة والدولة على حدٍّ سواء.

والتناصر فرحًا بالانتصارات وإعانةً عند الجراحات- مقياسٌ لصحة

العقيدة، ومعيار لاتِّباع الشريعة، وتعبير عن قوة الإيمان، وعمق اليقين، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤-٥].

قال ذو النون المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثلاثة من أعلام الإيمان: إغمام القلب بمصائب المسلمين، وبذلُ النصيحة لهم متجرعًا لمرارة ظنونهم، وإرشادُهم إلى مصالحهم وإن جهلوه، وكرهوه»(١).

أما الفرح بانتصار الكفار على المسلمين، والشماتة في عباد الله الصالحين عند تَغلُّبِ الظالمين- فنفاق وخيانة، ونقض لعقيدة الموالاة في الله!

قال تعالى- عن أخلاق المنافقين لمَّا فرحوا بمصاب المسلمين في أحد-: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

فنفاقٌ واضح، وضعفُ إيمانٍ ظاهر حين تصطفُّ الأمة بصالح علمائها وعامتها مع أهل فلسطين من المستضعفين، ثم يحزن بعض المستأجَرين، وفلولُ المطبِّعين لما يحدثه انتصار المجاهدين من نكاية في أعداء الإنسانية، والدين!



(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٦٩٦).

الفَصْلُ الثَّالِثُ

النصرة: حكم فقهي، وواجب عملي

لا امتراءَ في أن النصرة واجب شرعي أوجبه الله تعالى في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿**وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ**﴾ [الأنفال: ٧٢].

وفي الحديث: «**يَدُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وأَمْوَالُهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ، وَيَرُدُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَقْصَاهُمْ**»(١).

والمعنى: أنه متى استنجد المسلمون في مكانٍ ما بأهل الإسلام فقد وجبت على القادرين نصرتُهم، ومتى استُنْفِروا وجب عليهم النفيرُ، سواء في ذلك الأدنى منهم والأقصى! وذلك للتأكيد على التراحم بين أطراف الأمة، وأبعاضها جميعًا.

وفي الحديث: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ، يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الإِيمَانِ، كَمَا يَأْلَمُ الجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ**»(٢).

ومَن نصر أخاه نصره اللهُ في الدنيا والآخرة، وفي الحديث: «**مَنْ نَصَرَ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٨٧٧)، والطبراني في الكبير (٦/ ١٣١) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَخَاهُ بِالغَيْبِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[١].

وفي ميزان الأولويات الشرعية تأتي نصرة المستضعفين من المؤمنين في رتبةٍ متقدمةٍ؛ وذلك لما لها من وثيق ارتباط بعقيدة المسلم، وما تدعوه إليه الشريعة من قضاء حوائج المؤمنين، ومجاهدة أعداء الدين، وإغاثة الملهوفين، وتفريج كروب المكروبين، والدعاء لرب العالمين بنجاة المستضعفين.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة يقول: **اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»**[٢].

فالنصرة والمواساة بكل أنواعها مأمور بها شرعًا أَمْرَ إيجابٍ، أو أَمْرَ استحبابٍ.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن النصرة-: إنها «مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجُّع لهم»[٣].

وفي الشريعة قد تتقدم نصرةُ وإغاثة المسلمِ -بل والذمِّي- التكاليف

---

(١) أخرجه البزار كما في البحر الزخار (٣٥٤٢)، والطبراني في الكبير (٩/ ٣١) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠٦)، ومسلم (٦٧٥).

(٣) الفوائد، لابن القيم (ص١٦٤).

العملية، والفروض العبادية! وقد قال تعالى عن النفس البشرية: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وهذا يتناول من أنجاها مِن غرقٍ، أو حرقٍ، أو هلكة[١].

وفي صحيح مسلم: «... **مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ**»[٢].

وقد قرَّر فقهاء الإسلام: أنه يجب إنقاذُ النفس المعصومة من الهلكة لمن قدر على ذلك، ويأثم من ترك إغاثتها.

والمعصوم -عند فقهائنا-: هو المسلم، والكافر الذمِّيُّ، والمعاهَد المستأمَن من أهل دار الحرب.

قال البهوتيُّ الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويجبُ ردُّ كافرٍ معصومٍ بذّمةٍ أو هدنةٍ أو أمانٍ عن بئر ونحوه كحيَّةٍ تقصده، كردِّ مسلم عن ذلك بجامع العصمة، ويجب إنقاذ غريقٍ ونحوه، كحريقٍ، فيقطع الصلاة لذلك فرضًا كانت أو نفلًا، وظاهره: ولو ضاق وقتها؛ لأنه يمكن تداركها بالقضاء»[٣].

وقد قال ﷺ: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»[٤]، وهذا يتناول الإنسان والحيوان على حدٍّ سواء.

---

(١) كشاف القناع (١/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) كشاف القناع (٢/ ٤٣١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ينظر: حاشية الدسوقي (٦/ ١٨٥)، والفواكه الدواني، للنفراوي (٢/ ٢٣٨).

وقد اتفق الفقهاء جميعًا على وجوب إنقاذ الأنفس من الهلكة لمن قدر على ذلك، وأثَّموا من ترك إنقاذها، ثم اختلفوا في وجوب الضمان على مَن تركها حتى هلكتْ على ثلاثة أقوال:

الأول: مذهب الحنفية والشافعية:

لا يجب الضمان على مَن ترك الإنقاذ إذا لم يكن متسبِّبًا في هلاكها[(١)].

الثاني: مذهب المالكية والظاهرية:

يجب الضمان على من ترك الإغاثة والنصرة، ثم من ترك الإغاثة قصدًا حتى هلكتِ النفس المسلمة فإنه يُقتَل بذلك، وإن لم يقصد إلى القتل فعليه الدِّيَةُ.

وكذا إن كان متأوِّلًا لم يلزمه قصاص، وإنما تلزمه الدِّيَةُ، فإن لم يكن متأوِّلًا فقد وجب في حقِّه القصاص[(٢)]!

وقال ابن حزمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فيمن تركوا سَقْيَ العطشان حتى مات-: «الذين لم يسقوه إن كانوا يعلمون أنه لا ماءَ له ألبتة إلا عندهم، ولا يمكنه إدراكه أصلًا حتى يموت، فهم قتلوه عمدًا، وعليهم القود، بأن يُمنَعوه- أي: الماء- حتى يموتوا كثروا، أو قلُّوا، فإن كانوا لا يعلمون ذلك ويقدِّرون أنه سيدرك الماء فهم قتلةٌ خطأً، وعليهم الكفارة، وعلى عواقلهم الدِّية ولا بد»[(٣)].

---

(١) انظر: روضة الطالبين، للنووي (٣/ ٢٨٥)، ومغني المحتاج، للخطيب الشربيني (٤/ ٣٥٧).

(٢) انظر: الشرح الكبير على مختصر الخليل، للدردير (٤/ ٢٤٢)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢/ ٣٧٣)، والتاج والإكليل لمختصر خليل، للعبدري المواق (٦/ ٢٤٠).

(٣) المحلى، لابن حزم (١١/ ١٨٥).

الثالث: مذهب الحنابلة:

وجوب الضمان إذا طلب المضطر المساعدة والعون، وإلا لم يجب الضمان على تارك الإغاثة، وظاهر كلام الإمام أحمد: وجوب الدِّية في مال تارك الإغاثة بعد طلبها منه، والقول الثاني في المذهب وجوبها في مال العاقلة؛ فلا يكون عمدًا وإنما شبه عمدٍ(١).

وعلى هذه المسألة خرَّج أبو الخطاب الكلوذاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلَّ تركِ إنقاذٍ فيه فواتٌ للنفس(٢)؛ للاشتراك في القدرة على سلامته وخلاصه من الموت(٣).

والمقصود: أن ترك النصرة والإغاثة من الموت يوجب القود، أو الدية على من ترك ذلك مع قدرته!

وليس يُعلَم في دين أو شريعة مثلُ هذه الأحكام التي تعظم حرمة النفس الإنسانية، وتوجب حفظها وإقامة حياتها، ولو أدى هذا لِفوات بعض الفروض العبادية العينية، كصوم رمضان، أو أداء الصلاة على وقتها وغير ذلك، وهو حكم عام يشمل معصومي الدم من المسلمين وغيرهم.



---

(١) ينظر: الفروع، لابن مفلح (٩/ ٤٣١- ٤٣٢)، وكشاف القناع، للبهوتي (٦/ ١٥)، والمبدع، لابن مفلح (٧/ ٢٧٩).

(٢) الإنصاف، للمرداوي (١٠/ ٤٩).

(٣) المبدع، لابن مفلح (٧/ ٢٧٩).

الفَصْلُ الرَّابِعُ

النصرة: خُلُقٌ إيماني، ومسلك تربوي

لقد تجلَّى من بعض ما تقدَّم أن التآخي واجبٌ إيماني، وعنه ينشأ واجبٌ آخر وهو التناصر والتآزر، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال ﷺ: «... **وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»(١).

وبناءً عليه؛ فإن المؤمنين صفٌّ واحد إذا دَهَمهم أمرٌ، أو حَزَبهم مكروه؛ فـ«**المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(٢).

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وليس لأهل الإسلام مَثَلٌ إلا كالجسد: «**إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»(٣).

وقال ﷺ: «**المُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ؛ إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ**»(٤).

فالنصرة ثمرة التآخي في الله، وهذا ما نصَّ عليه رسول الله ﷺ حين

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال: «**الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ**»[1].

وفي الحديث- أيضًا-: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ فَقَدْ غَزَا**»[2].

وهذا الخُلق فضله عظيم، وأجره كريم، والتربية عليه حقٌّ وواجبٌ نفعه عميم.

وفي الحديث القدسي: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يَقُولُ: قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَصَافُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي**»[3].

إن هذا التناصر يتمثَّل واقعًا في كربٍ يُنفِّسه مسلم عن أخيه، وفي تيسيرٍ على مسلم، وسترٍ على مؤمن، ومعاونةٍ على البر والتقوى، وإنفاقٍ في سدِّ حاجة أهل الإسلام!

ولقد ظهر هذا الأثر التربوي في حياة السلف رحمهم الله، فقد امتثل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هذا الأمر خيرَ امتثال، بل وكان منهم من يفعل فوق ذلك؛ فقد جهَّز عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جيش العسرة، واشترى بئر رومة، وجعلها وقفًا لسقيا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩١٨) من حديث أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٥) من حديث زيد بن خالد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١٩٤٣٨)، والطبراني في الأوسط (٩٠٨٠)، والبيهقي في الشعب (٨٥٨٣) من حديث عمرو بن عبسة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

المسلمين[١].

ولقد كان أويس القرني رَحِمَهُ ٱللَّهُ- سيد التابعين- إذا أمسى تصدَّق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب، ثم يقول: «اللهم من مات جوعًا فلا تؤاخذني به، ومن مات عريانًا فلا تؤاخذني به»[٢]، وهو في هذا يمتثل حديث رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ**»، قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منا في فضل[٣].

والتربية على النصرة أمرٌ يشمل الأمة بأسرها، رجالًا ونساءً، شيبًا وشبابًا، فعلى كل مسلمٍ واجبٌ في النصرة، وله حين يحتاجها حقٌّ على كل أحد.



(١) أخرجه البخاري (٢٧٧٨).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٨٧)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٢٨).

الفَصْلُ الخَامِسُ

النصرة: منهج اجتماعيٌّ، ومسعًى تكافليٌّ

إن المجتمع المسلم لا تجتمع أوصاله بمثل التناصر والتآزر، ولا تقوى شوكته بمثل التعاطف والتآلف، والتعبير عن المجتمع بالجسد الواحد، والصف الواحد، ونحو ذلك إنما هو مقصود لبيان شدة الارتباط، ووَثاقة العقد الاجتماعي الجامع لمكونات المجتمع، وهذا ما يجعل من المجتمعات المسلمة- على تباعد ما بين ديارها، وتنائي أقطارها، وتفاوت لغاتها وعاداتها- لُحمةً واحدة، وأمة واحدة!

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ولقد ترسَّخت في مجتمعات المسلمين عبادات وطاعات تُفضي إلى تحقيق الأمة الواحدة بتوحُّد عباداتها، ووحدة شعائرها ومناسكها، حتى صار يحمل همَّ الأمةِ- من مشرقها إلى مغربها- كلُّ مسلمٍ فيها، فإن لم ينصرها بنفسه نصرها بماله، وإن عجز ماله نصرها بلسانه ودعائه، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم يعجز أن يكون قلبه مع أمته فرحًا وترحًا، سعادةً وحزنًا!

وهذا المعنى الاجتماعي العظيم لا يوجد لدى أمةٍ من الأمم مطلقًا! فإن المصيبة قد تَحُلُّ بأهل المغرب، فيدعو لهم أهل المشرق، وإن النازلة قد تنزل بأرض الشام وفلسطين، فتضج الحناجر بالدعاء والقنوت في أرجاء بلاد المسلمين كافة!

فالنصرة صمام أمنٍ مجتمعي بين أفراده جميعًا، يدل على ذلك قوله ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إن كان ظالمًا، كيف أنصره؟ قال: **تَحْجُزُهُ**- أَوْ: **تَمْنَعُهُ**- **مِنَ الظُّلْمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»(١).

فالتناصر يقي المجتمع المظالم، فلا يُستضعف فيه مظلوم، ولا يستقوي فيه ظالم!

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

ثم إن التاريخ يذكر كيف تناصر الأنصار مع المهاجرين، فقد حكت كُتب السُّنة: أن النبي ﷺ آخى بين تسعين من المسلمين، خمسة وأربعين مهاجرًا مع خمسة وأربعين أنصاريًّا.

ومن ذلك: أنه ﷺ آخى بين عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين، وسعد بن الربيع من الأنصار، فقال سعد لأخيه المهاجري: «إني أكثر

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

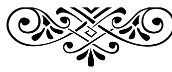
الأنصار مالًا، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمِّها أُطلقها، فإذا انقضت عدَّتها فتزوَّجْها!

فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سُوقُكم؟ فدلُّوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضلٌ من أَقِط وسمنٍ»(١).

ومثل ذلك التكافل: كان بين الأشعريين، إذا قلَّ طعامهم في السفر جمعوا ما لديهم، ثم قسموه بالسويَّة بينهم(٢)، فهذه نصرة اجتماعية تكافلية لا نظير لها.

ولا شك أن أهل غزة وفلسطين ينتظرون من الأمة في أصقاع الأرض إغاثة عاجلة تحمل الغذاء والماء والدواء والكساء والغطاء!

فاللهم وفق أهل الإسلام كافَّة لإدراك هذا الفضل، بإغاثة المنكوبين بآلة العدوان الصهيوني من جهة، والمتضررين من التواطؤ والتجاهل من جهة أخرى!



---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٠)، ومسلم (١٤٢٧) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفَصْلُ السَّادِسُ

النصرة: جهاد عسكري، وعمل ميداني

إن الجهاد العسكري قبل الاجتهاد السياسي ومعه في نصرة أهل الإسلام في كل صِقْعٍ، لا تتحقق النصرة فيه إلا بذلك! ولقد قال ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

في هذه الآية يقول ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحرِّض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله، وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين بالمقام بها...»[١].

فنصرة المستضعفين في دينهم اليوم في بلادٍ عديدة- جهادٌ لا بدَّ منه، ولا غنى عنه، ولا يقوم غيرُه مقامَه! ولا يخفى ما آلت إليه أحوال المسلمين في بلاد الروهينجا، وبورما، وكشمير، والهند، وبنغلاديش، وتركستان الشرقية، وفلسطين، وسوريا، والعراق، واليمن، وغيرها!

وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥٨).

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إلَّا تفعلوا ما آمركم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنةٌ في الأرض»(١).

وقد قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۖ﴾ [الجاثية: ١٩].

وإذا كان الظالمون بعضُهم أولياء بعضٍ؛ فإن أهل الإيمان أَولى بالموالاة على حقِّهم من أولئك الظالمين على باطلهم، وقد ورد النهي الأكيد عن خذلان أهل الإسلام، فقال ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ**»(٢).

والخذل والخذلان: تركُ الإعانة والنصرة(٣).

ومما لا شك فيه: أن الجهاد بالنفس من أعظم الواجبات الشرعية، بل هو ذروة سنام الإسلام، وهو ماضٍ إلى يوم القيامة، وإنكار وجوبه إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة، وجهاد الدفع يتعين على من نزل العدو ببلده، فإنه لم تتحقَّقِ الكفايةُ انتقل الوجوبُ إلى من يليهم من آفاق المسلمين، حتى تُحمى بيضة المسلمين، وتُحفظَ حوزة الدين.

ولا يشترط في جهاد الدفع ما يشترط في جهاد الطلب، فيجب على كل قادر من ذكر أو أنثى، ومن حرٍّ وعبدٍ، وفي وجود إمامٍ وعند عدمه، وبإذنه وإذن الوالدين وبغير إذن.

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) شرح مسلم (١٦/ ١٢٠).

وأهل الحل والعقد في كل بلد يقومون مقام الإمام إذا غاب أو فُقد، وهم كلُّ صاحب منهجٍ علمي سديد، وعملٍ مبارك رشيد، ومَن ناصرهم مِن ذوي الشوكة والقدرة والسلطان.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، وهو واجب إجماعًا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط - كالزاد والراحلة - بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نصَّ على ذلك العلماء، أصحابنا وغيرهم»[1].

ومع العجز عن جهادٍ واجب، فإنه يجب الاستعداد له بإعداد القوة بكل سبيل.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[2].

ومما لا شك فيه: أن نصرة أهل الإسلام بالقوة من المستضعفين والمضطهدين في دينهم وبلادهم واجب يتعلق- أول ما يتعلق- بجيوش المسلمين ومن يقوم عليها من القادة في كل بلد.

وقد علَّم نبيُّنا ﷺ كلَّ حاكمٍ وعالم كيف تكون النصرةُ للمستضعفين، ولو كانوا من غير المسلمين؛ وذلك لوجود حِلْفٍ أو عَهْدٍ، فكيف يكون

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٥٩).

الحال بأهل الإسلام إذا اعتُدِيَ عليهم في دمائهم وأعراضهم؟!

ذلك أنه لمَّا أغارت بنو بكرٍ -وهم حلفاء قريشٍ- على بني خزاعة حلفاءِ النبي ﷺ، وجاء الصارخ يستنصر النبي ﷺ وهو ينشد:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا

قَدْ كُنْتُمُ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا ثُمَّةَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصرًا أَعْتَدَا وَادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا

إلى أن قال:

هُمْ بَيَّتُونَا بِالوَتِيرِ هُجَّدَا وَقَتَّلُونَا رُكَّعًا وسُجَّدَا

عندها قال نبينا ﷺ: «**نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ!**»[1]، وكان هذا سببَ فتحِ مكةَ!

وعلى هذا المنوال نسج خلفاء الإسلام في حماية الذمم والعهود بعد حماية الأنفس والحرمات! ولمَّا صرختِ المرأة الهاشمية وهي أسيرة في يد الروم قائلةً: وامعتصماه! وبَلَغته استغاثَتُها، قال: لبَّيكِ لبَّيكِ، ونهض من ساعته، وصاح في قصره: النفير النفير، وثأر لها بنفسه، وكانت تلك الواقعة سببًا في فتح عمورية.

وفيها قال أبو تمام:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

(١) السيرة النبوية، لابن كثير (٣/ ٥٢٦-٥٢٧).

بِيضُ الصَّفائِحِ لَا سُوْدُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُـونِهِنَّ جِـلَاءُ الشَّـكِّ وَالرِّيَـبِ

إلى أن قال:

فَـتْحُ الفُتُـوْحِ تَعَـالَى أَنْ يُحِـيْطَ بِـهِ نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِـنَ الخُطَـبِ(١)

وإن الأسى ليبلغ مداه حين تستغيث اليومَ الحرائرُ من أرجاء بلاد فلسطين وغيرها من ديار المسلمين فلا تجد لها مجيبًا، ولا تسمع إلا رَجْع صوتها كئيبًا!

رُبَّ (وَامُعْتَصِـمَاهُ) انْطَلَقَـتْ مِـلْءَ أَفْـوَاهِ الصَّـبَايَا الْيُـتَّمِ

لَامَسَـتْ أَسْـمَاعَهُمْ لَكِنَّهَـا لَـمْ تُلَامِـسْ نَخْـوَةَ الْمُعْتَصِـمِ(٢)

ولما بلغ صلاحَ الدين شكوى الحجيج، ونساء المسلمين مِن تعرُّض أرناطَ لهن، وكان حاكمَ الكرك في أرض فلسطين، وأنه قطع الطريق، واستباح الحرمات، أقسم ليقتُلَنَّه بيده!

وقد أبرَّ اللهُ قسمه، وأمكنه من رقبته، فقتله بيده، نصرةً للحرائر!

وها هي فلسطين اليوم تئنُّ أشدَّ ما يكون الأنين، وتستنصر جميع المسلمين، وهؤلاء حرائرها تُنتَهَك أعراضُهُنَّ وتُستباح حرماتُهُنَّ في الأسر، وتسفك دماؤهنَّ مع أبنائهنَّ وآبائهنَّ تحت سمع وبصر العالم أجمع، ولا

---

(١) شرح ديوان أبي تمام، للتبريزي (١/ ٣٢).

(٢) البيتان من قصيدة: أمتي، للشاعر عمر أبي ريشة، ديوانه (ص١٠).

من مجيبٍ، ولا من نصيرٍ! فإلى الله المشتكى وحده، وإليه المصير.

القــــول قـــــول الصــــــوارم كـــــــي تُســــــتردَّ المظـــــــالم

مـــــا دنســـــوا لحمانـــــــا لـــــو طوَّقتـــــه الضــــراغم

حثالـــــة البغـــــي صـــــالت فـــــأين عهـــــد الحواســـــم؟!

وإنه لجهادٌ نصرٌ أو استشهاد!

وصدق الله العظيم: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].



الفَصْلُ السَّابِعُ

النصرة: موقف سياسي، وميثاق أممي

إن المواقف السياسية الحازمة والجازمة إنما هي أداة فاعلة في نصرة المستضعفين، وإعانة المحاصَرين، وقد عرف أهل الجاهلية الأولى، ثم أهل الإسلام؛ بل والمخالفون في الدين أحلافًا تنصر المستضعفين، وقد شارك النبي ﷺ قبل بعثته في حلف الفضول، وهو ينصُّ على نصرة المظلوم أيًّا كان، وإغاثة الملهوف من أي دينٍ كان!

وقد قال عنه ﷺ: «**شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ**»(١).

وهذا الحلف الإنساني يمثل وثيقةً من وثائق الجاهلية في حفظ وحماية الحقوق العامة، ونبذ الظلم وتحقيق العدل، وتأكيد حقوق الإنسان في زمن مبكر!

وأما وثيقة المدينة التي أبرمها النبي ﷺ مع سكانها فهي بمثابة أول دستور في الإسلام، كُتب عقب الهجرة النبوية، وهي- أيضًا- من مفاخر

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٥٥)، وأبو يعلى (٨٤٥)، وابن حبان (٤٣٧٣) من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحضارة الإسلامية، وأحد معالم مجدها السياسي الحضاري.

وقد تضمنت تراتيب الدولة وولاءات أهلها، وتناولت تنظيم شأن غير المسلمين بالمدينة، والتأكيد على حقوق الأفراد وأصحاب العقائد المخالفة، وبيان التكافل الذي يجمع جميع سكان دولة المدينة، ونصَّت على حماية الأقليات والمستضعفين[١]، فمن ذلك:

«وإنه مَن تبعنا مِن يهودَ فإن له النصر والأسوة، غيرَ مظلومين، ولا متناصَر عليهم».

وجاء فيها- أيضًا-: «وإن النصر للمظلوم».

وجاء فيها- أيضًا-: «وإن بينهم النصر على من دَهَمَ يثرب».

وجاء فيها- أيضًا-: «وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة».

فهذا إلحاحٌ بعد إلحاح على وجوب نصر المستضعف، وحماية الديار، وإغاثة المظلوم، وإعانة الملهوف.

وفيها- أيضًا-: «وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم...»[٢].

وأما في العصر الحديث فإن نصرة المظلوم ميثاقٌ أممي جاءت به الإعلانات العالمية لحقوق الإنسان في القرن العشرين.

---

(١) تعدَّدت روايات الوثيقة وتنوعت مصادرها، فقد رواها ابن إسحاق، ورواها أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن زنجويه، وغيرهم، واشتغل نفر من المستشرقين بتحقيق بنودها منهم: الألماني «ولهاوسن»، والإنجليزي «سارجينت»، والإنجليزي «مونتجمري وات».

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٣/ ٣١-٣٥).

وبناءً على كل ما سبق: فإن العمل السياسي المحليَّ والدولي الأممي يُجمِع على نصرة المظلوم، وتحرير الإنسان وأرضه من كل احتلال، وقد شهد العصر الحديث حركاتِ تحريرٍ من ربقة الاستعمار، ومحاربةٍ للفصل العنصري، ونشأت حركات لطرد الغزاة والمحتلين في ديار كثيرة، وأقطار عديدة.

وفي خصوص القضية الفلسطينية فإن الخذلان الذي يحيط بها قديم، وليس وليد الأحداث الراهنة، ولكن برغم كل ما مضى من مآسي التآمر عليها فإن الجهاد على أرض الرباط لم يتوقف بحمد الله، وقد تشرف بممارسته أقوام، وحُرِم بالذنوب من شرفه آخرون!

وعليه فإن من المؤسف أن تتقاعس كثير من الدول العربية والإسلامية عن نصرة كثير من قضايا المسلمين في بقاع عديدة! على أن هذه المواقف السياسية المتخاذلة تُسَطَّر بأحرفٍ من الخزي تاريخ أصحابها، ومهما كانت سطوة تلك الأنظمة أو الأفراد المستبدين، فلن تَحُول- بإذن الله- بين أهل الإسلام وبين ما يريدون من نصرة المستضعفين من أهل الملَّة، وأبناء الأمة، في كل صقع ومصر.

وإذا كان هناك من يفرح بأن دولةً إسلاميةً أو عربيةً تحتجُّ على ما يجري في غزة الآن فتستدعي سفيرها من الكيان المحتل! فإن عليه أن يحزن أولاً كيف اعترفت تلك الدولة سياسيًّا بالكيان الغاصب، وأقرَّته على احتلال الأرض؟!

وأخيرًا: فلا يجوز- بحالٍ- أن يَحُول انتماءٌ حزبيٌ، أو موقف شخصيٌ، أو مصلحةٌ جزئية دون القيام بواجب نصرة المستضعفين، ولا الفرح بانتصار المؤمنين على أعدائهم من الكفار والمنافقين، فإنْ وقع شيء من ذلك فمِن ضعف الإيمان ونقص اليقين.

والأمر كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «على قَدْر الإيمان تكون المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت»[(١)].

فتفقُّد الإيمان في القلوب، وإصلاح ذات الضمائر يُثْمر صحة الأعمال والمواقف!

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن القلب كلما كانت حياته أتمَّ كان غضبُه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكملَ»[(٢)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة، مُوالية لله ولرسوله، ولعباده المؤمنين، مُعادية لأعداء الله ورسوله، وأعداء عباده المؤمنين، وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هي العسكر الذي لا يُغلَب، والجند الذي لا يُخذَل»[(٣)].

وبناءً على ذلك: فإن مسئولية تحرير فلسطين وسلامة أهلها وأمنها تقع على

---

(١) الفوائد، لابن القيم (ص١٦٤).

(٢) إعلام الموقعين (٢/ ١٥٨).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ٦٤٤).

عاتق كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها، وكلٌّ أحدٍ بحسب حاله وقدرته، والحكام والمحكومون في ذلك سواء!

والفضل ما شهدت به الأعداء، وقد قال مارسيل بوازار: «ثبت أن الإسلام روحُ كل مقاومة يبديها شعب مغلوب سياسيًّا، ومحلُّ كلِّ مقاومة، وفي إفريقيا ساهم الدين في إقامة مجتمعٍ جديدٍ- خارج النطاق القبلي- أكثرَ جدارةً بمقاومة التأثير الأجنبي، وفي آسيا تماسك الإسلام المرن ونما في وجه النفوذ الاستعماري، وقد حمل الإسلام- في أكثر الأحيان- راية الصراع مع الاستعمار»(١).



(١) نقلًا عن: قالوا عن الإسلام، لعماد الدين خليل (ص٤٤٦).

الفَصْلُ الثَّامِنُ

النصرة: حكم قضائي، ومبدأ قانوني

إن القضاء العادل النزيه في كل زمان ومكان يقوم أولًا على العدل ورفع الجور، وأن القوي لا يجوز له أن يستقوي على الضعيف.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [النساء: ١٣٥].

وفي الحديث: «**إِنَّهُ لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ**»[1].

فلا بد من أن يعطَى كلُّ ذي حقٍّ حقَّه، ولا يمكن لقضاءٍ حرٍّ نزيه أن يحكم بسواغية التعدِّي على الأعراض والمقدَّسات، أو يجوِّز احتلالَ الأرض ونَهْبَ المقدرات!

وفي الحديث: «... **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ،**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٢١٠٥)،وأبو يعلى (١٠٩١).

كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا...»[١].

وقد رفعت الشريعة الظلم عن أهل الكتاب، وحذَّرت منه، وفي الحديث: «**أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢].

وفيه- أيضًا-: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**- أو قال:- **ذِمَّةً وَصِهْرًا**»[٣].

ولما دخل المسلمون سمرقند وفتحوها بغير دعوة قبل الفتح استعدى أهلها عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأمر قاضِيَهُ أن يُنصِفَهم، فحكم ببطلان الفتح، وأمر بإخراج الجيوش الفاتحة خارج سمرقند، حتى يُدعَى أهلها إلى الإسلام أولًا!

وبالفعل خرج الجيش الغازي، ودُعوا إلى الإسلام فأسلموا، فلم تُفتَح ولم تُغنَم لإسلام أهلها[٤].

وهذا حكم قضائي يمثل سابقةً لا نظير لها في تاريخ الفتوحات

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٥٢)، من حديث عدة من أصحاب رسول الله ﷺ ورَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٣) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٥٦٨).

والمعارك في العالم بأسره.

وفي العصر الحديث: تأسست محاكمُ دوليةٌ للعدل وللجنايات وغيرها؛ بناءً على القانون الدولي الإنساني، الذي يقرر حفظ الحقوق، ويحمي غير المقاتلين من النساء، والشيوخ والأطفال، ويرعى قوانين الحرب، ومن أسفٍ: أن مجازرَ دمويةً، وإباداتٍ جماعيةً تُرتكب بحق المسلمين في الروهينجا، وفلسطين ومن قبلُ في البوسنة والهرسك، وغيرها، وما تزال تلك المجازر قائمةً إلى الساعة في فلسطين الجريحة، في همجيةٍ لم تعرف لها البشرية نظيرًا، وما تبع معركة طوفان الأقصى من مجازر وإبادة جماعية بأرض الرباط من أكناف بيت المقدس، إنما هو شاهدٌ ناطق، وثَّقتْه كل المنظمات الدولية!

وقد اتفقت كلمة أحرار العالم مؤخرًا في هذه الأشهر على أن ما تمارسه سلطات الاحتلال الصهيوني الغاشم هو إرهاب أعمى بكل المقاييس، وإن لم يكن هذا الذي جرى ويجري تحت سمع وبصر المجتمع الدولي إرهابًا فليس في الدنيا إرهاب!!

وبعد صدور إدانةٍ دولية من محكمة العدل، واستعداد محكمة الجنايات الدولية لإصدار مذكرات اعتقال بحق القيادات الصهاينة سياسيًّا وعسكريًّا، أقدم اثنا عشر عضوًا في مجلس الشيوخ الأمريكي على تهديد المدَّعي العام لمحكمة الجنايات الدولية -كريم خان- بعقوبات شديدة في

حال أصدر مذكرة اعتقال بحق نتنياهو[١]!

فقد علم العالم أجمع، وعلمت الدنيا بأسرها أنه احتلالٌ إرهابيٌّ، وأنه إلى زوال، إن عاجلًا أو آجلًا، طال الأمد أم قصر!

وفي طوفان الأقصى سقطت مقولة بل أكذوبة: فلسطين أرضٌ بلا شعب، والصهاينة شعب بلا أرض!



(١) وقد كشف كريم خان عن تلك التهديدات في لقاءٍ له مع قناة CNN الفضائية، بتاريخ: ٢١/ ٥/ ٢٠٢٤م.

الفَصْلُ التَّاسِعُ

صفحات من نصرة العلماء والدعاة لقضايا المسلمين

إن علماء ودعاة المسلمين يتحمَّلون- ومن قديمٍ- عِبئًا كبيرًا في نصرة أمتهم، ودعم قضاياها كافة بحمد الله تعالى، وإن العلماء الربانيين هم الهداة الحداة لأمتهم، يحملون همَّها، ويفرحون لفرحها، ويتألمون لألمها، يستنهضون همة أمتهم بمواقفهم تارةً، وبفتاويهم أخرى، وبحضورهم في جهادها ثالثةً!

ولقد جاهدوا أعداءها بأنفسهم، كما جاهدوهم بألسنتهم وأقلامهم، ولقد قادوا نضالها ببطولاتٍ نادرة، واستُشهد منهم في ساحات الوَغى خَلقٌ كثير!

فهذا القاضي أسد بن الفرات رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخرج على رأس جيش لفتح صقلية عام (٢١٢ هـ)، فركب البحر ونزل بلاد صقلية، وحاصر سرقوسة، وفي أثناء الحصار أصيب بجراحات بالغة سال منها الدم على اللواء الذي كان يحمله، حتى فاضت روحه إلى باريها سبحانه، واستبسل المسلمون أمام الروم لما رأوا القاضي قد بلغ الشهادة، ففرَّ الروم، وأتم الله فتح صقلية على يد أسد بن الفرات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإذا وقع من المسلمين خَلقٌ في الأَسر خاطبوا الأعداء في فكاك أسرى

المسلمين، بل وأَسرى أهل الذمة أيضًا!

ولمَّا خاطب ابن تيمية التتار في افتكاك أسرى المسلمين قَبلوا أن يطلقوا أسرى المسلمين دون مَن أَخذوا من نصارى القدس، وقالوا: هؤلاء لا يُطلَقون.

فقال لهم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(٧٢٨ هـ)**: «بل جميع من معكم من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نفتكُّهم، ولا ندع أسيرًا، لا من أهل الملَّة، ولا من أهل الذمَّة»[١].

ولمَّا تضعضع المسلمون في الأندلس أمام الصليبيين أفتى الإمام **ابن رشد الجد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٢٠ هـ): أن الجهاد لأهل الأندلس في زمنه أفضلُ من حج الفريضة الذي لا يتوافر فيه آنذاك شروطه بحسَب رأيه؛ لأن الوصول إلى مكة بأمانٍ كان غيرَ حاصلٍ في ذلك الزمان[٢].

وعبر القرون شارك العلماء وطلبة العلم في الجهاد سواء أكان طلبًا أم دفعًا، وقاموا بواجبات قيادة الجند معنويًّا، ودعمهم في جهادهم، وعرف المسلمون ما للعز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أثر في التحضير لمعركة عين جالوت (٦٥٨ هـ)، وبرغم كبر سنه آنذاك، فقد شارك في الاجتماعات مع السلطان وقادة الجند، وحثَّ الأمة على ملاقاة التتار، ومن بعده وعلى منواله نسج شيخ

(١) الرسالة القبرصية (ص٢٦).

(٢) ينظر: جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى، لمحمد أبي الخيل (ص١٥٠ - ١٥٩).

الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقاتل بنفسه وحث المسلمين على القتال، وبشَّرهم بالنصر في غير موضع من مواضع قتال التتار والمغول.

ولما بلغ الإمام أحمد بن عرفان (١٢٤٦ هـ) ما جرى للمسلمين بالهند من اضطهاد السيخ لهم، استشاط غضبًا، وأبدى ألمًا، وجمع تلامذته ودعاهم إلى الجهاد، فتجمعوا من كل حدب وصوب، وبايعه الناس بالإمارة على الجهاد عام (١٢٤٢ هـ)، وبدأ الجهاد، وانتصر على الأعداء، حتى تكلل ذلك بفتح مدينة بشاور، ثم انطلق مع بقية جيشه إلى كشمير، ودارت رحى المعارك هناك، حتى استشهد الشيخ أحمد بن عرفان، والشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله، يوم الجمعة ٢٤ من ذي العقدة (١٢٤٦ هـ). رحم الله العلماء الشهداء.

وفي العصر الحديث جاهد عمر المختار رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٣٥٠ هـ)، وقاد الجهاد ضد الإيطاليين، ونال الشهادة حين بلغ الثالثة والسبعين من عمره، وكان هذا الجهاد سبب جلاء الإيطاليين.

وعلى خطاه كان سعي العلامة عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٣٥٩ هـ)، ومن بعده البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٣٨٥ هـ)، وبهذه الجهود الحثيثة من جهاد الفرنسيين في كل ميدان نالت الجزائر حريتها.

وفي المغرب كانت لجهود العلامة علَّال الفاسي (١٣٩٣ هـ)، أوضح الأثر في تحرير المغرب من الاحتلال الفرنسي الصليبي.

وأما فلسطين الأبية فقد عرفت جهاد الشيخ عز الدين القسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٣٥٤ هـ)، منذ أن هاجر إليها من سوريا في (١٣٣٩ هـ)، ويتفق المؤرخون على أنه أول من بدأ الجهاد في فلسطين، وقد شارك مع تلامذته في ثورة البراق عام (١٣٤٧ هـ)، وكان جهاد القسام تنظيمًا مكونًا من حلقات ومجموعات جهادية انتشرت في ربوع فلسطين، واستشهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع بعض رفاقه عام (١٣٥٤ هـ).

وما برح الجهاد تنتقل رايته بين عالمٍ وداعية إلى أن انتهت الراية إلى الشيخ المجاهد أحمد ياسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٤٢٥هـ)، والذي خاض غمار جهاد متواصل بنفسه وبشبابه الذين رباهم، إلى أن أكرمه الله بالشهادة عام ١٤٢٥هـ، وما يزال أبناؤه الذين تربوا على يديه يجاهدون عدوَّهم بصبرٍ وثباتٍ لا نظير له.

وقد أفتى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وأفتى قبله ومعه علماء المسلمين- بحرمة التنازل عن شيءٍ من أرض فلسطين، وأن مَن فعل ذلك فقد خان أمانته، ولا يلزم الأمةَ هذا العقدُ الباطلُ في قليلٍ، ولا كثيرٍ.

وفي عصرنا الحالي: أفتى عددٌ من علماء المسلمين بمقاطعة السِّلع والبضائع التي تنتجها بلادٌ محارِبةٌ للمسلمين في نبيهم ﷺ، وكان لها أثرٌ عظيم في نصرة النبي ﷺ.

وهكذا فإن الأمثلة في كل زمان ومكان لا تخطئها عين باحث، وهي- بحمد الله- إلى يوم الناس هذا قائمة، وقد أصدر عددٌ من علماء المسلمين فتاوى وبيانات تتعلق بالقضية الفلسطينية من بدايتها إلى المعركة الحالية

«طوفان الأقصى»[(١)].

شبهة والجواب عنها:

إن العلماء تناط بهم مسئولية بيان الحق وتجلية الشبهات التي قد تشوِّش على ظهوره، وتطمس معالم نوره، ومن تلك الشبهات التي قد تروج على بعض المسلمين: أن أولئك المستضعفين المضطهدين في دينهم لا تجب نصرتهم؛ لأنهم عصاة أو مبتدعة أو لهم صلات أو علاقات بالمبتدعة أو بالكفار، وعليه فلا يجب لهم على المسلمين شيء، وإن وجب شيء فلا زيادة على الدعاء!

وللرد على تلك الشبهة يجب أن يُعلم ما يلي:

أولًا: إن الرحمة والتراحم صفة عظيمة للنبي ﷺ، ولأمته، ولأتباع دينه، وهي من خصائص شريعته التي بُعث بها ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال ﷺ- عن نفسه-: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»[(٢)].

وقال ﷺ- أيضًا-: «**لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ**»[(٣)].

والرحمة تشمل الخلق كافة، وقد قال شُرَّاح الحديث: «فيه الحض

---

(١) سنورد بعض هذه الفتاوى في آخر الرسالة.

(٢) أخرجه الدارمي (١٥) مرسلاً، ووصله الحاكم (١٠٠) والبيهقي في الشعب (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم، المملوك وغير المملوك...»[١].

ولا يوجد ما يمنع من الإحسان إلى الكافر؛ بشرط ألَّا يكون ممن يُقاتِل المسلمين؛ لعموم قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨].

فإذا جاز هذا الإحسانُ والبِرُّ للكافر غيرِ المحارب، فكيف بالمسلم الذي له حقوق واجبة على غيره من المسلمين!

ثانيًا: كل مَن ثبت إسلامه بيقينٍ فله أصل الولاء الموجِب للمحبة والنصرة، وبقدر ما هو عليه من السنة والاتباع، ومَن اجتمع فيه خيرٌ وشرٌّ، واتباع وابتداع، وُولِيَ بقَدر ما فيه من السنة والطاعة والخير، وعُودي بقَدر ما فيه من البدعة والمعصية والشرِّ، فيُوالَى لإسلامه وما هو عليه من الدين والصلاح، ويُنكَر عليه ما هو مُتلبِّس به من الشر والابتداع.

ومع هذا، ففي زمن الالتباس للشرائع، والاندراس للشعائر، وغلبة الجهل، وانتشار البدع، يُغلَّب التعليم، والدعوة، والرِّفق، والحِلْم، والصبر، والصفح، وتُنتظر فَيْئةُ الخَلق إلى الحق، ولا يصلح مُلاحقة الناس على جهلهم بالأحكام، ولا التسلُّط على رقابهم بالفتاوى العَجلى، ولا تغليب الهجر والزجر الذي يُفضي إلى غير مقصودهما من ردع المبتدع المستهتر،

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٥٧)، والكلام لابن بطَّال.

والزجر عن مشابهته في حاله.

ثالثًا: عند تدافع المصالح وتعارضها يُطلب تحصيل أعلاها بتفويت أدناها، وعند تدافُعِ المفاسد وتزاحُمِها يُطلب درء أعلاها بارتكاب أدناها.

ولهذا يجب في حالات نصرة المستضعفين من جهَّال المسلمين: أن يُعرَف خيرُ الخيرين ليُقدَّم، ويُعرَف شرُّ الشرين لِيُدرأ.

ولا مقارنة بين كافرٍ أصليٍّ يجثم على صدور العباد، ويستنزف خيرات البلاد، وبين مسلمٍ ولو كان مبتدعًا، أو عاصيًا!

ولا مقارنة بين مَن يستبيح بيضة أهل الإسلام، وينتهك حرمات المسلمين من الكفار الأصليين أعداء الدين، وبين أحدٍ من أهل قِبلة المسلمين!

ولهذا ما عُطِّلت مصالحُ الجهاد لأجل ظلم أو فسق أو بدعة حاكم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، والنبي ﷺ دعا الخَلق بغاية الإمكان، ونقل كلَّ شخصٍ إلى خيرٍ ممَّا كان عليه بحسَب الإمكان»[1].

وقد جاهد أئمة الحنابلة في زمانهم مع الناصر صلاح الدين مع ما كان بينهم وبين الأشاعرة من مواقف شديدةٍ، وذلك: كالإمام الموفق ابن قدامة المقدسي، وأخيه الإمام محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، وهذا عين

---

(١) الفرقان بين الحق والباطل، لابن تيمية (ص٤٥).

الفقه في الدين، ويحقق المقصود من نصرة المستضعفين.

رابعًا: التعاون مع الكافر الأصليِّ على نصرة المظلوم، وتحقيق العدل، وإغاثة المنكوب والملهوف، ونحو ذلك من أعمال البر- جائز، ما لم تكن مفسدةٌ أعظمُ.

وقد شهد النبي ﷺ حِلف المطيبين، وقال: «**لَوْ دُعِيتُ بِهِ فِي الإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ**»(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن فوائد صلح الحديبية-: «... ومنها: أن المشركين وأهل البدع والفجور، والبغاة والظَّلمة إذا طلبوا أمرًا يعظِّمون فيه حرمةً من حرمات الله أُجيبوا إليه، وأُعطوه، وأُعينوا عليه»(٢).

والخلاصة الجامعة: إن «نصرة المظلوم، وردع الظالم من أيِّ جنسٍ كان- واجب شرعًا، وعقلًا، وفطرةً»(٣).

والأمر بإغاثة الملهوف، وتفريج كرب المكروب، وإعانة المنكوب، والإحسان إلى المحتاج- ولو كان كافرًا أو حيوانًا- كلُّ ذلك متواتر مقطوعٌ به في نصوص الشريعة الإسلامية.

وإذا كان في كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ؛ فإن كبد المسلم العاصي أو المبتدع في إغاثتها والإبقاء على مهجتها أجرٌ كثير، وخيرٌ كبير، بإجماع العلماء

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٥٥)، وأبو يعلى (٨٤٥)، وابن حبان (٤٣٧٣) من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) زاد المعاد، لابن القيم (٣/ ٣٠٣).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لابن باز (٨/ ٢٦٢).

والعقلاء على حدٍّ سواء!

وعلى الدعاة أن يُعلِّموا العامة والخاصة: أن عليهم بذل ما تيسَّر لنصرة المستضعفين، ولو كان الميسور من ذلك قليلًا، فإن الميسور من الخير والمعروف لا يسقط بالمعسور، كما تقرره القاعدة الفقهية الكبرى.

وقد قال نبيُّنا ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(١).

ودعاء المسلم لإخوانه برفع الضراء، والبأساء، ونزول النصر من السماء- مستجاب، وفي الحديث: «**لَا يَرُدُّ القَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ**»(٢).

وبصدق النية والعزم يبلغ العبد ما لا يبلغه بسعيه وعمله.

وفي الحديث: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**»(٣).

وهذا الخبر النبوي مما يتأسَّى به المسلم ويتعزَّى حين يعجز بيده أو بلسانه؛ فإن نصرة أهل الإسلام كما هي باليد واللسان، فهي بالقلب والجنان.

وأخيرًا: فقد كذَب كلُّ من قال: إن هذا الجهاد في فلسطين ليس جهادًا إسلاميًّا سُنِّيًّا، وبهذا أفتى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين سئل عن ذلك، فأجاب:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٣٨٦)، ابن ماجه (٩٠) من حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٩١١) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

«لقد ثبت لدينا بشهادة العدول الثقات أن الانتفاضة الفلسطينية والقائمين بها من خواصِّ المسلمين هناك، وأن جهادهم إسلامي؛ لأنهم مظلومون من اليهود؛ ولأن الواجب عليهم الدفاع عن دينهم وأنفسهم وأهليهم وأولادهم، وإخراج عدوهم من أرضهم بكل ما استطاعوا من قوة.

وقد أخبرنا الثقات الذين خالطوهم في جهادهم وشاركوهم في ذلك عن حماسهم الإسلامي، وحرصهم على تطبيق الشريعة الإسلامية فيما بينهم، فالواجب على الدول الإسلامية وعلى بقية المسلمين تأييدهم ودعمهم ليتخلصوا من عدوهم، وليرجعوا إلى بلادهم»[(١)].

وأخيرًا: فلو علم الشهداء ومن هم على دربهم ما ترتَّب على هذا السبيل من بركات إحياء الأمة، ودخول الخلق في دين الحق، وكيف ستتغير الموازين العالمية في قضيته بهذا الجهاد لاستبشروا جميعًا!

يـــــا شـــــــهيدًا رفــــــعَ الله بــــــهِ	جبهـة الحـقِّ علـى طـولِ المـدى
ســـوف تبقــى في الحَنايــا عَلَمًــا	هاديًـــا للركـــبِ رمـــزًا للفـــدى



(١) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٢٩٥).

الفصل العاشر

العقيدة في الأقصى، والقدس، وفلسطين (العقيدة المقدسيَّة)

إن الجانب العملي من النصرة للقضية الفلسطينية بالضرورة يستند أولًا إلى جانب عقدي إيماني أيديولوجي، يحرره العلماء ويقربه الدعاة إلى عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وفي هذه الصفحات متن: «العقيدة المقدسيَّة»، يميط اللثام عن منزلة القدس والأقصى في معتقد أهل الإسلام، ويذكِّر الأمةَ بواجبها نحو مسرى نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، نسأل الله أن يحرِّره عاجلًا غيرَ آجلٍ بأيدي عباده المؤمنين، وجنده المفلحين، آمين.

الإسلام العام دين أنبياء الله جميعًا:

«يعتقد المسلمون: أن الإسلامَ العامَّ هو دينُ أنبياءِ الله كافَّةً، وقد قال الله تعالى- لنبيه إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وبالإسلام أوصى إبراهيمُ ويعقوبُ، فقالا: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقال الحواريون- لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]»:

حقيقة الإيمان وأركانه:

«يعتقد المسلمون ويؤمنون بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرِّه. على هذا: اتفقت كلمتهم، واجتمعت أئمتهم، وتلقَّاه خلفهم عن سلفهم، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وفي الحديث: (... **قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**...)[(١)]».

تعيين المسجد الأقصى المبارك:

«يعتقد المسلمون: أن المسجدَ الأقصى هو الواقعُ بالقدسِ الشريفِ من أرضِ فِلَسطين الداخلةِ في الأرضِ المباركةِ الكائنةِ في الجنوب الغربي لبلاد الشام، وهي الأرض التي نجَّى اللهُ إبراهيمَ ولوطًا عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ إليها، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

فعقيدة المسلمين: أن أرض الأقصى هي أشرف بقعة في الأرض بعد مكة والمدينة حرسهما الله تعالى».

فضائل المسجد الأقصى في عقيدة المسلمين:

المسجد الأقصى هو القبلة الأولى:

«يعتقد المسلمون: أن الأقصى قبلةُ المسلمينَ الأولى؛ فعن البراء بن

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

عازبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (أنَّ النبيَّ ﷺ صَلَّى قِبَلَ بيتِ المقدسِ سِتَّةَ عشرَ شَهَرًا، أو سبعةَ عشرَ شَهرًا)[(١)]».

المسجد الأقصى ثاني مسجد وُضع في الأرض:

«ويعتقدون: أنه ثاني مسجدٍ وُضع في الأرض؛ فعن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (قلت: يا رسولَ اللهِ، أيُّ مسجدٍ وُضع في الأرضِ أولَ؟ قال: «**الْمَسْجِدُ الحَرَامُ**، قال: قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: **الْمَسْجِدُ الأَقْصَى**، قلتُ: كم كان بينهما؟ قال: **أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ: فَصَلِّهْ؛ فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ**»[(٢)]».

فضلُ زيارة المسجد الأقصى:

«يعتقد المسلمون: أن الأقصى مما يُستحب السفرُ إلى زيارته وشدُّ الرحال إليه؛ لبركته؛ ففي الحديث أنه ﷺ قال: (**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**)[(٣)]».

فضل الصلاة في المسجد الأقصى:

«ويعتقدون: أن الصلاة فيه مضاعفةُ الثواب؛ فعن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (تذاكرنا- ونحن عند رسول الله ﷺ- أَيُّهما أفضل: مسجدُ رسول الله ﷺ، أو مسجدُ بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: **صَلَاةٌ فِيْ مَسْجِدِيْ هَذَا: أَفْضَلُ مِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيْهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى هُوَ)[(١)]».

المسجد الأقصى هو منتهى الإسراء، وبداية المعراج:

«يعتقد المسلمون: أن الإسراء بنبيِّنا ﷺ من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى في بعضِ ليلةٍ: حقٌّ، وأنه صلَّى فيه بالأنبياء إمامًا، ثم عُرِج به إلى السماوات العلا حيث انتهى إلى سدرة المنتهى، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وفي الحديث أنه ﷺ قال: (**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ- وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ- فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، ثم دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ**)[(٢)]».

فضل الرباط والجهاد في بيت المقدس وأكنافه:

فضل المقام ببيت المقدس والرباط فيه:

«يعتقد المسلمون: أن الرباطَ ببيتِ المقدسِ وحولَهُ من أعظم الرباط في سبيل الله! ففي الحديث: (**وَلَيُوشِكَنَّ لِأَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ**

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٩٨٣)، والحاكم (٨٥٥٣)، والبيهقي في الشعب (٣٨٤٩)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ: خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا، أو قال: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)[(١)]».

فضل المجاهدين ببيت المقدس:

«وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: (**لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**. قال معاذ بن جبل: وَهُمْ بِالشَّأْمِ)[(٢)]».

قتالُ اليهود المغتصبين فرضٌ شرعيٌّ:

«يعتقدُ المسلمونَ: أن الإسلامَ هو هويةُ القدسِ، وأن القدسَ جزءٌ أصيلٌ من هويةِ المسلمين، وبانتقاصِ الأرضِ المباركةِ: فإن العقيدةَ والشريعةَ والتاريخَ والمواثيقَ تأمر باستعادتها عبر جهادٍ مشروع، بل مفروض!

وقد تقرَّر في محكمات دين المسلمين: أن بلادًا أُسري إليها بنبيهم ﷺ، وحكمها المسلمون منذ فتحها الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي من بلاد المسلمين، ولو غلب عليها الأعداء الغاصبون مدةً من الزمان.

ويعتقد المسلمون: أنه لا حقَّ لليهود المحاربين المغتصبين في فلسطين عامَّةً، ولا في القدس خاصَّةً، ولا في الأقصى مطلقًا، فهي أرضٌ نزلها الكنعانيون العرب، وعاش عليها الشعب الفلسطيني من قبلُ ومن بعدُ، وعلى مدار قرونٍ متعاقبةٍ من حكم الإسلام لبيت المقدس: عاش

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٥٥٣)، والطبراني في الأوسط (٦٩٨٣)، والبيهقي في الشعب (٣٨٤٩) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

يهودٌ مع نصارى مع مسلمين؛ فلم يُظلمْ أحدٌ، أو يُتعدَّى على حرمته، فلمَّا اغتصبه المعتدون: عاثوا فيه فسادًا؛ فصار قتال المغتصبين حقًّا تُثبتهُ الشريعةُ الإلهية، والمواثيقُ الدولية».

لا يجوز التنازل عن أي شبرٍ من أرض فلسطين:

«فلسطينُ وبيتُ المقدس أرضٌ إسلاميةٌ، لا يملك أحدٌ- كائنًا من كان- أن يتنازل عن شبرٍ منها، ومن فعلَ فقد خان أمانته، وصنيعهُ هذا باطلٌ مردودٌ، يبوءُ بخزيهِ في الدنيا والآخرةِ، ولا يلزمُ الأمةَ في قليلٍ، ولا كثيرٍ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]».

التطبيع جريمة محرَّمة شرعًا:

«يعتقد المسلمون: أن ما يسمى بـ(التطبيع) محرَّم شرعًا بكل أشكاله؛ لمناقضته أصولَ الإيمان، وثوابتَ الشريعة، ولِمَا يتضمنه من التنازل عن الأرض والمقدسات، وتصفية القضية الفلسطينية لحساب العدو».

التطبيع لا يُسقط واجبَ الجهاد:

«وتطبيع بعض الدول لا يغيِّر من وصف الاحتلال شيئًا، ولا يسقط واجب جهاده ومقاومته».

انعقاد الإجماع على محكمات قضية الأقصى وفلسطين:

«وسيبقى إجماع المسلمين منعقدًا- حكامًا وعلماءً- على حرمة موالاة أعداء الدين، وبطلان أيِّ تنازل عن أرض فلسطين، وما فيها من

مقدسات المسلمين، وهو إجماع لا يخرقه حكامٌ فسدة، ولا علماءُ فسقة!

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨١]».

منشأ الصراع بين المسلمين واليهود، ومآله:

«يعتقدُ المسلمون: أن تسلُّطَ اليهودِ- الساعين لهدمِ الأقصى- على أهل الإسلام اليوم هو بما كسبت أيدي المسلمين، وبما وقعَ من ولاءِ المنافقين، وأن الله ابتلاهم باحتلال شراذمِ اليهودِ للأقصى، وأنهم- طالَ الزمانُ، أم قَصُرَ- سيحرِّرون مسجدَهم، ويقاتِلون عدوَّهم، وأن حصونَهم وجُدُرَهم ليست بمانعتِهم من الله شيئًا، وأن أهلَ الإسلامِ سيسوؤون وجوهَ الصهاينةِ اليهودِ في آخر الأمر بدخول المسجدِ كما دخلوه أول مرة، ويُتبِّرون ما عَلَوْا تتبيرًا! قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧]».

امتداد الصراع حتى النصر وتحقيق الوعد:

«يعتقد المسلمون: أن الصراع مع اليهود المعتدين ممتدٌّ إلى قربِ قيام الساعةِ، وليس في هذا استنامةٌ، أو تقاعسٌ عن واجب جهادِ المغتصبين بكلِّ سبيلٍ: سياسيٍّ، وإعلاميٍّ، وعسكريٍّ، ومقارعتِهم وإخراجهِم من الأقصى وبيت المقدس، وإزالة دولتهم؛ فإن قتالهم بالأمر الشرعي الإلهي الباتِّ الجازم هو ما يمتثله المسلم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، بحسب قدرته واستطاعته».

واجب الحكومات نحو بيت المقدس:

«والخطابُ في هذا كما يتوجه إلى الأفراد والهيئات يتوجه- كذلك- إلى الدول والحكومات، ومن باع بيت المقدس بعَرَضٍ من الدنيا؛ فلن يشتريه بالدماء!».

نصر المسلمين على اليهود وعدٌ غير مكذوب:

«يعتقد المسلمون: أنه لا تنقضي الدنيا، ولا تقوم الساعة، حتى تقع لليهود ذِلَّةٌ ومقتلةٌ، ونصرةٌ للمسلمين وكرامة، وفي الحديث: (**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ، أو الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**)[1].

وذلك وعدٌ غيرُ مكذوبٍ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣]».



(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفَصْلُ الحَادِي عَشَرَ

خطوات العلماء والدعاة في طريق النصرة

الخطوة الأولى: إصلاح النيات، والذوات، والهيئات:

إن العلماء الربانيين هم صفوة المسلمين، وقد قال رب العالمين: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

والربانية صنو التربية في إصلاح الظاهر والباطن، ولا يكون العالم ربانيًّا حتى يكون من الصالحين المصلحين، يَصلُح في دينه، ويُصلِح دين الناس ودنياهم، فهو الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير(١).

فأول إصلاح العالم لأمته إصلاحه لنفسه وذاته! وتجافيه عن أسباب الفساد والغواية، وحرصه على البراءة منها، وطلبه للهداية.

وكما أن في صلاح العالِم صلاحَ العالَم، فكذا في فساده العطبُ العام.

يَـا رِجَـالَ الْعِلْـمِ يَـا مِلْـحَ البَلَـدْ مَنْ يُصْلِحُ الْمِلْحَ إِذَا الْمِلْحُ فَسَدْ؟!

فلا بد لأهل العلم من تحقُّقٍ بتلك الصلة الوثيقة بالله أداءً للفرض، واستكثارًا من النفل، واستدامةً للذكر، وعنايةً بالشكر، وتحلِّيًا بالصبر، واتشاحًا باليقين.

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٣١).

والربانية تقيم في قلب العالم سياجًا يفرق بين الحق والباطل، وحائلًا بين القلب ومضلَّات الفتن، ويضبط القلب والجوارح على رعاية السنن، وحسن السمت، ولزوم الأدب!

ولا غنى بالربانيين عن زهدٍ وورع، وإيثارٍ للباقية على الفانية، وسلوكٍ في العلم على منهج الأئمة والسلف، ونشرٍ للعلم، وحذرٍ من تلاعب الأهواء والأدواء بالعلماء والدعاة.

وعن مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال:** «سألت الحسن ما عقوبة العالم؟ قال: موت القلب، قلت: وما موت القلب؟ قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة»[١].

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ... وَمَنْ يَشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالدِّيْنِ أَعْجَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِيْنَهُ ... بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهْوَ أَخْزَى وأَخْيَبُ[٢]

والعالِم المربِّي يصطفي من طلبته من يتوسَّم صلاحهم ونفعهم لأمتهم، فيربيهم تربية خاصة على المعالي، وعلوِّ الهمة في الخير.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هِمَّتِي هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي ... نَفْسُ حُرٍّ تَرَى المَذَلَّةَ كُفْرًا

وَإِذَا مَا قَنَعْتُ بِالْقُوْتِ عُمْرِي ... فَلِمَاذَا أَزُوْرُ زَيْدًا وَعَمْرًا[٣]

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦٩٦).

(٢) وفيات الأعيان، لابن خلكان (٦/ ١٧٠).

(٣) ديوان الشافعي (ص٥٠).

فهؤلاء العلماء هم: «الأبرار المتقون الذين قصدوا به وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنات النعيم، لا مَن طلبه بسوء نية أو خبث طوية أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلاب»(١).

ولما سئل ابن المبارك: «من الناس؟ قال: العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قيل فمن السفلة؟ قال: الذي يأكل بدينه» (٢).

وهذا الرسم للعالِم يُخرِج مَن ساء عملُه، واختلَّ أدبُه، وباع دِينَه مِن زمرة العلماء.

وقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن علماء زمانه من الصحابة والتابعين: «إنكم في زمانٍ: كثيرٌ فقهاؤه، قليلٌ خطباؤه، قليلٌ سؤَّاله، كثيرٌ معطوه، العمل فيه قائدٌ للهوى، وسيأتي من بعدكم زمان: قليلٌ فقهاؤه، كثير خطباؤه، كثير سؤَّاله، قليل معطوه، الهوى فيه قائدٌ للعمل! اعلموا أن حسْنَ الهدي في آخر الزمان خيرٌ من بعض العمل»(٣).

وقد ورد في بعض الحديث: «**سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ تَكْثُرُ فِيهِ الْقُرَّاءُ، وَتَقِلُّ الْفُقَهَاءُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ**، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: **الْقَتْلُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ زَمَانٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ رِجَالٌ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ زَمَانٌ يُجَادِلُ الْمُنَافِقُ الْكَافِرُ الْمُشْرِكُ بِاللهِ**

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة (ص٩).

(٢) أخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٣٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٩).

الْمُؤْمِنَ بِمِثْلِ مَا يَقُولُ»[(١)].

وكما يعتني العلماء بنفي خبثهم، وإصلاح ذواتهم، يعتنون- أيضًا- بهيئاتهم العلمية، فلا يقدِّمون لرئاستها طلاب الدنيا، ولا مَن ليس لقيادتهم بكفءٍ ولا أمين! ويعملون على مناصحة ومحاسبة من كثرت شذوذاته، وتعدَّدت في الشأن العام أخطاؤه وانحرافاته.

ويسعون بجهدهم لاستقلال هيئاتهم الشرعية عن التبعية، ويستغنون بأوقاف المسلمين عن دعم السلاطين، ويعملون على تقوية هيئاتهم بصالح المستشارين المتخصصين في العلوم والمجالات المهمة، حتى يتمكنوا من القيام بفرضهم في الإفتاء في النوازل والمستجدات، ويحاولوا أن تكون هيئاتهم بمثابة جامعات علمية، ومراكز بحثية تملك رؤى استراتيجية، ومصادر إشعاع وبناء وتوجيه، متصلةً بوسائل الإعلام من جهة، ومتملِّكةً لبعض الوسائل من جهة أخرى، حتى تصل رسالتها الآفاقَ من غير تزييف ولا تشويه ولا تحريف.

وهذا أول الواجبات وأفرضها وأدومها على جميع العلماء، وبه ينتصرون لقضايا الأمة ويُنصَرون، ومن تحقَّق به من الفقهاء فهو كما قال **السيوطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل الفقه: قِوامُ الدين وقُوَّامُه، وبهم ائتلافُه ونظامُه، هم ورثة الأنبياء، وبهم يُستضاء في الدَّهماء، ويُهتدى كنجوم السماء»[(٢)].

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٤١٢).

(٢) الأشباه والنظائر، للسيوطي (ص٣).

وما دامت أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين منشورةً، وفتاويهم في أرجاء البلاد مشهورةً، وجليل أعمالهم وعظيم آثارهم مذكورةً ومشكورةً؛ فإن جيوش تلك البلاد غالبةٌ- بإذن الله- ومنصورةٌ، وحرمات تلك الأمم مصونةٌ وموفورةٌ.

لقد قال خالد بن صفوان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقيتُ مسلمة بن عبد الملك، فقال: يا خالد، أخبرني عن حَسَن أهل البصرة؟ قلت: أصلحك الله، أخبرك عنه بعلم، أنا جاره إلى جنبه، وجليسه في مجلسه، وأعلم مَن قِبلي به: أشبهُ الناس سريرةً بعلانية، وأشبهه قولًا بفعل، إن قعد على أمرٍ قام به، وإن قام على أمرٍ قعد عليه، وإن أمر بأمرٍ كان أعملَ الناس به، وإن نهى عن شيء كان أَتْرَكَ الناس له، رأيتُهُ مستغنيًا عن الناس، ورأيتُ الناسَ محتاجين إليه. قال: حسبك، كيف يَضِلُّ قومٌ هذا فيهم؟!»[1].

الخطوة الثانية: إدراك الواجبات الملقاة على عواتق العلماء إدراكًا صحيحًا:

إن وعي العالم الشرعي بحقيقة واجبه، وعميق أثره في أمته، هو مفتاحٌ من أعظم مفاتيح الإصلاح المجتمعي، إن العلماء هم صفوة ولاة الأمر متى تملَّكوا الوسائل والأدوات التي تعين على القيادة والريادة.

ولقد كان الصفوة من علماء الأمة في الزمن الأول هم القادة، يَحدُون

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٦).

مسيرتها، ويضبطون دعوتها ووجهتها، يحررون فتاويها، ويعقدون ألوية الجهاد فيها!

ولقد أدركوا ذلك الشرف العظيم لمَّا أدركوا علوم الشريعة، وتمهَّروا بأسباب القيادة والسياسة معًا، وانفتحوا على علوم زمانهم فاستوعبوها بعد أن هذَّبوها فانتفعوا بالنافع المفيد، وتركوا ما لا يفيد.

وما كان الخلفاء الأربعة إلا من علماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يتسنَّموا القيادة لمجرد السابقة الحسنة في الإسلام فحسب، وإنما لتأهُّلهم للخلافة بما اجتمع لديهم مِن خوضِ الحروب وعمقِ المعرفة بفنونها، وسعة المعرفة بعلوم العرب وعاداتها، وأحوالها وأنسابها، وهو ما جعلهم جديرين بحيازة ثقة الأمة وتقديرها.

ولقد كان الشيخان الوزيران -بعد ذلك- في موضع القدوة والأسوة من الأمة بأسرها!

كما قال النبي ﷺ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ**»[(١)].

فاجتمع بهم وفيهم القرآن والسلطان!

فما عرفت البشرية لهذا الجيل نظيرًا، وقد زكَّاه النبي ﷺ، فقال: «... **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ...**»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد (٢٣٢٤٥)، والترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال- أيضًا-: «**الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَامًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُلْكُ**»[(١)].

فلم يكن في الثلاثين بعد النبي ﷺ إلا الخلفاء الأربعة، وأيام الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فامتدت من عام: (١١ هـ) إلى عام: (٤١ هـ)، وانتهت بتنازل الحسن بن علي لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فلا قيام للدين بلا دولةٍ تحوطه من جميع جوانبه، وسلطةٍ تحفظه وتحرسه، ولا دولة ولا جماعة بلا إمامةٍ وطاعة!

وقد قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجب أن يُعرفَ: أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها»[(٢)].

ولمَّا حكم الخلفاءُ العلماءُ سادت الشريعة المطهَّرة، وكان السلطان للأمة تُولِّي وتعزل، وتراقب وتحاسب، ويشاورها حكامُها، وأقيم العدل، وشمل رعايا الدولة وفقًا للكتاب والسنة، وكانت الشورى ضرورةً وضمانةً تدفع الاستبداد، وضُمِنت الحقوقُ وصِينت، وحُفظت الحريات ولم تقيَّد.

وأجمعت الأمة على صيانة وحدتها ودولتها، تحت شعار الإيمان، ودثار الأخوة الإسلامية!

وأقيم على أيدي العلماء القادة الجهاد نصرةً للحق وتحريرًا للخلق،

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦) من حديث سفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) السياسة الشرعية (ص١٦١).

وردًّا للعدوان، وإزالةً للطغيان!

وتولَّى الأكفاء الثقات مختلف الولايات، وأقيمت الدولة على أسس راسخة من الكفاءة والديانة في قياداتها، ومرونة وسعة في مواطن الاجتهاد في إجراءاتها وتراتيبها.

وكانت الدولة أنموذجًا للدعوة إلى التوحيد، وحفظ الدين بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومثَّلت الكمال البشري، لا سيما في مرحلة الخليفتين الراشدين: أبي بكرٍ، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وبانقضاء الخلافة الراشدة وانتقال الحكم إلى خلافة أموية نزلت الدولة رتبةً، لا سيما بعد عهد معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم ارتقت برهةً زمن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي جدَّد عهد الراشدين.

وقد روي: أنه كتب إلى الحسن البصري يقول له: «إني قد ابتُلِيتُ بهذا الأمر، فانظر لي أعوانًا يعينوني عليه، فكتب إليه الحسن كتابًا قال في أثنائه: أما أبناء الدنيا فلا تريدُهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك؛ فاستعن بالله. والسلام»[1].

ولمَّا حكم العالِمُ الزاهدُ الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ذكَّر الناسَ بسيرة الأربعة الخلفاء، إلا أنه من بعده ازدادت الشقة بين السلطان والقرآن، وإن تركَّزتِ السلبيات والانحرافات في دائرةٍ ضيقةٍ في القصور،

---

(١) مرآة الجنان (١/ ١٨٢).

وكلما ازداد الزمان اتسع الخرق وانفرجت الزاوية، واستحكم الفِراق بين السلطان والقرآن وأهله بسقوط خلافة بني عثمان، وتنكيس راية الدولة الجامعة، وجرى مع ذلك تنكيس راية الجهاد، واستحكم الخلل حين حكمت العلمانية، وفُقدت الشرعية والمشروعية، وغاب العلماء أو غُيِّبوا عن إقامة سلطان الشريعة بين العباد وفي ربوع البلاد!

والأمة التي تبحث عن النصر في فلسطين وفي غيرها عليها أن تجد طريقها نحو الربانيين، وأن يجد الربانيون طريقهم نحو القيادة والريادة من جديد!

إن ذاكرة التاريخ لا تزال تحتفظ بعشرات؛ بل مئات المواقف المشرقة من صفحات تاريخ العلماء الثقات الأثبات في نصرة قضايا أمتهم، بالرغم مما وقع من الانهيارات.

ولقد سعى العلماء الصالحون للإصلاح والتمكين عبر أعمال جماعية، ودعوات إصلاحية، وممارسات عملية كثيرة لاستعادة المفقود من العز والتمكين، ولأسباب كثيرة، ومن جملتها: عدمُ فهم طبيعة واجب العلماء، لم يتحقَّقِ المرادُ على النحو الذي يحقق مصالح العباد!

ومن أسفٍ: أنه تسرَّب إلى نفوس بعض العلماء والفضلاء: أن وظيفة أهل العلم في الأمة هي البيان ولا شيء غير البيان! وربما استدلوا على ذلك بأدلة لا تحقق لهم المقصود! زاعمين: أن مهمة الرسول كانت منحصرةً في البلاغ ونحوه، وقد قال تعالى: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال

تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة: ٩٩]، ونحو ذلك.

وربما غفلوا عن أن الذي قيل له ذلك، أُنزل عليه- أيضًا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وأُنزل عليه أيضًا: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤].

وأنه ﷺ أسس الدولة، وأقام الدعوة، وجاهد في الله حق جهاده، فكان قائد الدولة، كما كان رسول الأمة، وعلى منهجه سار أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فصنعوا الحياة، وساسوها بالدين، وشاركوا بعلومهم في قيادتها.

والربانيون الصالحون قد يَقلُّون، لكنهم لا يُفقدون، وهم في كل زمان موجودون، لكن عليهم أن يَعوا أن من وظائفهم الأولى: القيادة والريادة، وهم مأمورون بأن يأخذوا بأسبابها، ولا يُخِلُّوا بشروطها، وعليهم أن يُعِدُّوا طلاب العلم ويهيئوهم لوظيفتهم التي غابوا عنها، وأن يدرِّبوهم ويُمَهِّروهم بها، فلا بد من إصلاحٍ في مناهج تعليم الشريعة، وتغييرٍ وتحديثٍ في طرائق تدريسها، وإزالةٍ لآثار الاستعمار الذي عبث بالمناهج والطرائق، فأعقمها وفرَّغها من قيمتها، ولا بد من تسليح طالب العلوم الشرعية بالعلوم العصرية التي تُمكِّنه من قيادة المجتمعات، وتفتحه على علوم الإدارة والقيادة، والتاريخ وفلسفته، وسنن الله في المجتمعات، وعلوم الاجتماع والعمران، والتقنية واللغات، والإفادة من كتب ومذكرات الساسة والإعلاميين، وكتابات المفكرين والمصلحين، كما تنادي هذه الرسالة

على طلبة العلم بالاجتماع والاتحاد والتنظيم للجهود، وعندما يؤمِن العالِم بوظيفته في وراثة النبوة في أعمالها وعلومها؛ فإنه سيتغير بالعلماء الصالحين وجهُ هذه الحياة، وستزول كثير من التحديات من تلقاء نفسها، مما قد لا يتصور كثير من العلماء زواله اليوم؛ لبُعدِ الشُّقَّة، وعمقِ الهوَّة بين الواقع والماضي والمأمول، وساعتئذٍ سيقود الأمةَ علماءُ مجاهدون، وعسكريون شرعيون، وصالحون مصلحون، وتقنيون وفنيون يستنزلون النصر بجملتهم، بعد بذل السبب المادي الذي به جرت سنة الله تعالى في عباده.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وغني عن البيان: أن السعي والإعداد لا يكون من الأفراد، وإنما من التكتلات والجماعات، وبالجهود المنظمة لإنهاض الأمة وإصلاحها، واستصلاحها عبر سلاسلَ من الوسائل والأدوات، والبرامج والخطط التي تحقق الأهداف القريبة والمتوسطة والبعيدة على حد سواء.

ومما لا ينبغي أن يفوت في هذا السياق: أنه متى وُجِد من أصحاب الشوكة القادرين الذين يتحالف معهم العلماء الربانيون، لإقامة الدولة على أساس الدين- فإن ذلك التحالف مما يلزم إمضاؤه، ويتحتم السعي في إبرامه، إعزازًا لحملة المنهج الحق بأهل الشوكة والسلطان من الخلق.

وهذا السعي كما ينتظم علماء فلسطين فهو ينتظم علماء المسلمين في كل مكان، وكلٌّ مكانٍ بحسب حال أهله.

الخطوة الثالثة: تجييش الأمة في نصرة فلسطين بكل فئاتها، وتنبيه كل فئة إلى واجباتها:

من أهم واجبات العلماء نحو قضية فلسطين: حشد الأمة بكل فئاتها في نصرة القضية بكل سبيل، وبوضع كلِّ فئةٍ أمام مهامها، والمنتظر من أعمالها، وحثِّ الجميع على القيام بمسئولياتهم، وفيما يلي إيقاظ لتلك الفئات إلى أهم الأعمال والواجبات:

أولًا: واجبات الأئمة والخطباء:

١- تفسير آيات وأحاديث فضائل القدس والأقصى، وشرح قصة الإسراء والمعراج، وما يرتبط بالأرض المقدسة من مناسبات.

٢- تنظيم دروس مسجدية في فقه الجهاد ومقاومة الحملات الصليبية، وتاريخ الدولة الزنكية والأيوبية، وبيان كيف ظهر جيل صلاح الدين؟!

٣- القنوت والدعاء عند النوازل المرتبطة بقضية فلسطين، والجهاد وأحداثه.

٤- التأكيد على أهمية الدعاء، والمقاطعة الاقتصادية، وأهمية المرابطة المستمرة على ثغور البذل والعطاء لفلسطين.

٥- نقل فتاوى العلماء في القضية الفلسطينية على مدار عقود متصلة، وبيان حرمة التطبيع.

٦- تلاوة بيانات العلماء وهيئاتهم في مستجدات الأحداث من خلال الخطب والدروس.

٧- توجيه خطاب عام للأمة- بمختلف فئاتها- لنصرة الأقصى، وتخصيص كلِّ فئةٍ بما يجب عليها، ويُتوقع منها.

٨- إثارة قضايا الأسرى والمعتقلين والمضطهدين في سجون الصهاينة، وتذكير الأمة بواجبها نحوهم.

ثانيًا: واجبات العاملين في الحقل التعليمي والتربوي:

١- حثُّ الطلبة على الانخراط في مشاريع إعلاميةٍ، والتعبير عن القضية في أنشطةٍ لا صفِّيَّة.

٢- توظيف الإذاعة المدرسية الصباحية في نصرة القضية، وتوظيف الخطابة والصحافة والمسرح المدرسي في ذلك أيضًا.

٣- عمل مسابقات صفِّيَّة وعامة داخل المدرسة لرفع الوعي بالقضية الفلسطينية والواجب حيالها.

٤- توظيف المكتبة المدرسية في نصرة القضية، وذلك بإثرائها بالكتب والمواد المتصلة بفلسطين، وعمل أنشطة تتضمن تلخيص الكتب وإعداد البحوث.

٥- إحياء المناسبات الإسلامية كحطِّين ومناسبات الانتصارات، والتذكير بالمآسي التي مرَّ بها أهل فلسطين في العصر الحديث.

٦- إحياء روح البذل والتضحية والفداء، وتربية الناشئة عليها، والدعاء للمجاهدين والشهداء.

٧- التعليق على الأحداث في الأرض المحتلة، والثناء على الثبات الذي يبديه أهل فلسطين أجمعين.

٨- مناقشة الشبهات المتهافتة التي قد ترد إلى أذهان الطلبة من بعض وسائل الإعلام، والردُّ عليها.

٩- إصلاح المناهج التعليمية والتربوية، وعلاج ما تسرب إليها من خلل ووهن في نصرة الأقصى وفلسطين.

ثالثًا: واجبات الإعلاميين والمثقفين:

١- فضح ممارسات الصهاينة وعدوانهم الأثيم أمام العالم كله، عبر جميع وسائل الإعلام، وتذكير العالم بالتاريخ الدموي للكيان المحتل.

٢- التعريف بعدالة القضية وفقًا لكل الاعتبارات الشرعية والقانونية والدولية.

٣- تسليط الضوء على مكائد الصهاينة في كل مجال، واستنهاض الأمة لمواجهة ما يراد بها من أعدائها.

٤- استضافة القيادات والرموز الفلسطينية عبر وسائل الإعلام، وإفساح المجال لهم لشرح ما يلاقيه أهل فلسطين.

٥- التعاون مع الشخصيات المنصفة غربيًّا، وتقديمها للحديث عن العدوان الصهيوني، وتسليط الضوء على حراك الجامعات الغربية نصرةً للقضية.

٦- عمل مدوَّنات إعلامية ورقية ومصوَّرة للقضية الفلسطينية بكل أبعادها.

٧- محاربة الإسقاط المصطلحي في وعي الأمة، وإشاعة المصطلحات الصحيحة، لا سيما ما يرتبط بالقضية.

٨- تصحيح الوعي بأهمية القضية وأولويتها عند المسلمين، وأنها قضية المسلمين جميعًا، ووضعها في مكانها الصحيح.

٩- تصنيف ونشر الكتب، وتدبيج المقالات، وعقد الندوات والمحاضرات عن القضية الفلسطينية، والواجب نحوها.

١٠- التصدي للشبهات التي تثار حول القضية عربيًّا ودوليًّا، وفضح الشخصيات المأجورة.

رابعًا: واجبات الأفراد:

١- الدعاء في الصلوات، والخلوات، وفي التجمعات.

٢- مقاطعة المنتجات الاستهلاكية التي لا يتضرر مسلم بمقاطعتها، بل يتقوَّى، ويتضرَّر بمقاطعتها المناصِرون للطغيان.

٣- الحديث عن القضية والمعاناة، وطلب التخفيف عن أهل فلسطين، ونصرتهم بكل سبيل في كل مجلس.

٤- التبرع بالمال، وكلٌّ بحسب حاله وقدرته.

٥- المشاركة في الأنشطة والفعاليات الإعلامية، والجماهيرية، والخاصة كافة.

٦- التحرك وسط الأهل والأقارب بهذه القضية، واستنهاض الهِمم لنصرتها.

٧- استخدام كل الوسائل المتاحة فرديًّا من الهاتف إلى وسائل التواصل كافة في نشر ما تُنصَر به هذه القضية.

٨- توزيع ما يقع تحت اليد من كلماتٍ، أو كتيباتٍ، أو موادَّ صوتيةٍ أو مرئيةٍ تُنصر بها القضية.

خامسًا: واجبات أسرية وعائلية:

١- مراجعة تفسير الآيات والأحاديث المتعلقة بالأقصى والأرض المباركة مع الأسرة، وسماع القصص التي تروي تاريخ الأرض المباركة، وانتصارات المسلمين.

٢- مدارسة «العقيدة المقدسية»، وقراءة شرحها على أهل البيت والعائلة، وربط الموقف العلمي بالإيمان.

٣- التَّصَدُّق بمصروف الأسرة ليوم واحد -ولو كل شهرٍ- تضامنًا مع أهل فلسطين، ولإغاثتهم في نكبتهم.

٤- عمل برامج توعية لأطفال الأسرة عن فلسطين، وإجراء مسابقات، وتربية الناشئة على مفهوم الجهاد وحب الاستشهاد.

٥- الاجتهاد في شراء المنتجات الفلسطينية التي تنتجها الأرض المباركة؛ دعمًا لأهلها وتقويةً لهم.

٦- تكليف الأبناء بعمل أنشطة ومنتجات بأيديهم عن فلسطين، مثل:

لوحات حائطية، ومجسَّمات، وتعليقها في البيت وغيره؛ إحياءً للقضية.

٧- التعرف على أُسَرِ الشهداء، وقراءة سير الشهداء، ومتابعة أخبارهم، والتواصل بهم هاتفيًّا أو إلكترونيًّا.

٨- إنشاء مكتبة منزلية عن فلسطين وقضية القدس والأقصى، والتعوُّد على مطالعة أخبارها، ومتابعة مستجداتها.

سادسًا: واجبات التجار ورجال المال والأعمال:

١- السعي في إعمار ما تهدم من البيوت والمنشآت بفلسطين، وفي هذا السعي التصدي لفكرة التهجير.

٢- كفالة أُسَرِ الشهداء من الأيتام والأرامل، والجرحى والمعاقين.

٣- المشاركة في عمل المشروعات التعليمية والصحية التي تحتاجها فلسطين.

٤- تنشيط التجارة والمشاريع الاقتصادية بالأرض المباركة، عبر مشروعات تنموية واقتصادية متعددة الأهداف.

٥- زيارة المخيَّمات، والوقوف على أحوال اللاجئين والمهجَّرين في دول الجوار الفلسطيني في الأردن ولبنان.

٦- السعي في توفير فرص عمل للشباب، وتشغيل العاطلين عن العمل بسبب الحصار الظالم، واعتماد أفكار جديدة، مثل: العمل عن بُعد.

٧- إرسال الزكاة والأضاحي والصدقات إلى الأرض المباركة، وإعطاؤها أولويةً؛ لشدة الحاجة هناك.

سابعًا: واجبات النقابات المهنية:

١- إصدار بيانات عن القضية وما يجري وما يستجد فيها.

٢- دعم المجاهدين بالمال بالتبرع لهم، وإقامة أسواق خيرية للمنتجات والسلع التجارية لحساب الدعم.

٣- تنظيم الأنشطة والندوات والفعاليات المختلفة لمناصرة النقابات والجمعيات المناظرة في فلسطين، والتنسيق في ملفات النصرة.

٤- مطالبة الحكومات بالقيام بواجبها نحو نصرة المستضعفين، والتخفيف من معاناة المضطهدين.

ثامنًا: واجبات مستخدمي الشبكات ومواقع التواصل:

١- توظيف البريد الإلكتروني في إرسال رسائل بمختلف اللغات لنصرة القضية.

٢- تفعيل كل وسائل التواصل في نشر جرائم الاحتلال، ومخاطبة كل القادرين على التصدي له.

٣- اعتماد خدمات الإعلانات المدفوعة للقادرين؛ حتى تصل القضية إلى سمع وبصر أكبر شريحة.

٤- عمل مساحات للحوار في مختلف الوسائل المتاحة؛ وذلك للتفاعل المجتمعي.

٥- إنشاء صفحاتٍ ومواقعَ خاصة بالقضية ومستجداتها.

٦- نقلُ البث الحي والمباشر عبر بعض الصفحات والمواقع مما له صلة بنصرة القضية.

٧- دعوة جميع فئات المجتمع إلى المشاركة في نصرة القضية عبر المواقع الشخصية، وصناعة الرأي العام.

٨- مقاومة أفكار تصفية القضية بتهجير أهل غزة والضفة الغربية، والردُّ على من يسعى لترويجها.

تاسعًا: واجبات العلماء والدعاة:

١- الإدراك الصحيح لحقيقة واجب العلماء والدعاة في نصرة قضايا الأمة.

٢- تعليم وتربية المجاهدين والمرابطين في فلسطين وفي غيرها.

٣- بيان الحق الديني والتاريخي لأهل الإسلام في الأرض المباركة.

٤- الرد على شبهات المرجفين والمأجورين، وبيان تهافتها.

٥- الإفتاء في نوازل الجهاد والمجاهدين، والتوجيه حيالها.

٦- الإنكار على علماء السوء الناطقين بالسوء في هذه القضية.

٧- قياس المصالح والمفاسد والموازنة بينهما بميزان المقاصد في هذا الشأن المهم.

٨- توجيه الخطاب العام للأمة، وتجييشها نحو قضاياها الكبرى.

٩- توجيه الخطاب للغرب وإقامة الحجة عليهم، وبيان تناقضهم وانحيازهم.

١٠- التواصل مع الرافضين للعدوان والهمجية من الغربيين، وإظهار إنكارهم.

١١- إقامة الندوات والمناظرات مع الموافقين والمخالفين، دعمًا للقضية.

١٢- مخاطبة ولاة الأمور والحكام واستنهاضهم، لرد العدوان، وصيانة الأرواح.

١٣- مناصحة القيادة السياسية والعسكرية بفلسطين، في كل ما يتوجب النصح بشأنه.

١٤- قيادة مبادرات الصلح والتحكيم بين كتائب المجاهدين، وفض النزاع بين المتخاصمين.

١٥- تأليف الكتب والرسائل التي تخاطب فئات الأمة كافة، ونشر الوعي بين الناس.

١٦- دعم الأنشطة التربوية لإعداد الناشئة من البنين والبنات.

١٧- الدعوة إلى حملات التبرع والتطوع لصالح المجاهدين.

١٨- تقوية الصلات العلمية والأخوية بين علماء فلسطين وعلماء العالم الإسلامي.

١٩- بناء مشاريع التحرُّر من التبعية للغرب، ودعم المبادرات في هذا السبيل.

٢٠- ممارسة كل ما يُطلَب من كل مسلمٍ في نصرة فلسطين، وتحرير الأقصى.



الفَصلُ الثَّانِي عَشَرَ

نصرةُ قضية فلسطين نصرةٌ لمجتمعات المسلمين

كيف يمكن أن تكون نصرة القضية الفلسطينية نصرةً لكل قضايا المسلمين؟

إن نصرة القضية الفلسطينية تحقيقٌ لمعظم أهداف العلماء المصلحين والدعاة الصادقين؛ ذلك أن معالجة أحداثها والتصدي لتحدياتها هو بذاته علاجٌ لكل قضايا الأمة، وتحقيقٌ لأهداف الدعاة!

إن ممارسة القضية الفلسطينية بكل أبعادها العقدية والتربوية والواقعية كفيل- بإذن الله- بإنجاز الكثير من أهداف وآمال المصلحين، وأصحاب القضايا الرساليين في هذه الأمة.

وههنا عرض لكيف يمكن أن تَنصُرَ قضيةُ فلسطين- عند استثمارها بشكل صحيح- كلَّ قضايا الأمة وتحدياتها الداخلية والخارجية، وذلك من خلال استعراض الأهداف والتحديات والمعالجات المستوحاة من القضية الفلسطينية، وأحداثها الراهنة في طوفان الأقصى، ويتمثل ذلك فيما يلي:

أولًا: الإصلاح العقدي والإيماني:

إن تحرير العقيدة وإصلاح معانيها القلبية، والعملية من أعظم مقاصد الدعاة وطلبة العلم على حد سواء!

وطوفان الأقصى وما جرى فيه يمثل فرصة مزدوجة للداعية الحصيف في ممارسة الإصلاح العقدي الإيماني من عدة وجوهٍ، ينصر بها قضية فلسطين، ويُصلِح من خلالها مجتمعاتِ المسلمين، ومن تلك الجوانب:

١- إصلاح مفهوم الولاء لأهل الإسلام، والبراء من أعدائه:

إن ما جرى في السابع من أكتوبر وما تلاه من أحداث وتداعيات يمكن أن يكون مفتاحًا لمناقشة موقف المسلم من أهل الإسلام في فلسطين، وبيان أن الصلة الإيمانية هي الرابط الأعظم الذي يجمع القلوب والأبدان على نصرة أهل فلسطين، فالولاء مصروف لأهل لا إله إلا الله، والبراء مصروف لأعداء أهلها!

ويستطيع الداعية أن يوضح لأهل الإسلام كيف يوالي اليهود الصهاينة وحلفاؤهم من النصارى الصليبيين بعضهم بعضًا، بالرغم من تنائي ديارهم، وكيف جاءوا بالبارجات والمدمرات والطائرات من أنحاء العالم علاوة على ما يضخونه من مليارات الدولارات؛ لينصروا أولياءهم في فلسطين على أهلها المجاهدين المرابطين! قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا**﴾ [الأنعام: ١٢٩]، وقال سبحانه: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ**﴾ [الأنفال: ٧٣].

ويمكن أن يبرز الداعية تلك العلامات التجارية الشهيرة من المطاعم والمنتجات الغذائية والمشروبات وغيرها من المنتجات الصناعية

والتجارية المختلفة التي أعلنت دعمها وتضامنها مع الصهاينة.

كما يتمكن الداعية من تبيان هذا المفهوم من خلال متابعة ما يمدُّون به الكيان الصهيوني من الدعم السياسي والعسكري والإعلامي بأشكال كثيرة.

وبمقدور الداعية إبراز التصريحات السياسية الصادرة من دول كثيرة والمناصرة للصهاينة، وما يرتبط بذلك من بيان كيف يوالي أعداءُ الله ورسوله بعضهم بعضًا، وذلك في ضوء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [المائدة: ٥١].

وفي ضوء قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣]، فيأمر العالم والداعية أهل الإسلام بتصحيح ولائهم لله ورسوله والذين آمنوا، من كانوا وحيث كانوا.

٢- الرد على أنواع من المنحرفين المخالفين في باب الولاء:

على الداعية أن يصحح لأهل الإسلام مفهوم الولاء، ويقوِّي لديهم عقيدة الانتصار لأهل الإسلام المستضعفين، ويحذِّر من الانحراف الذي يروِّجه المخذِّلون والمثبِّطون؛ ذلك أنه قد سُمعت أبواقٌ تقول: لا علاقة لنا بقضية فلسطين، وليست هي قضيتنا، وإنما علينا الاهتمام بشأننا، وقضية فلسطين هي للفلسطينيين ونحو ذلك، وهذا التصحيح لا يتأتى إلا من خلال تأصيل قضية الولاء للمسلمين، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]،

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥].

ويقول ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

ثم ينتقل إلى الذين يعلنون بالولاء للصهاينة من بعض الأبواق التي تنطق بالعربية، وذلك في ضوء قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وبيان ما كان عليه المنافقون في غزوة أحد وتبوك وغيرها من إظهارهم الفرح بالنكاية في المسلمين، وتآمرهم مع المشركين في الخندق وغيرها، وأن هذا برهانٌ على نفاقهم!

إن ربط كل تلك الأحداث المعاصرة بالأحداث القديمة في السيرة، والتاريخ الإسلامي، واستعراضها في ضوء النصوص القرآنية والنبوية،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

واستلهام الدروس والعبر- يمكِّن الداعية من نصرة القضية الفلسطينية، وتمكِّنه تلك المعالجة -في ذات الوقت- من إصلاح المفاهيم في مجتمعاتنا الإسلامية كافة.

٣- إصلاح مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر:

وذلك ببيان معنى الرضا بالقضاء القدري الكوني، وما يكون من مصائب قدريةٍ، وأهمية الصبر عليها، والاحتساب فيها، والاستكانة تحت سلطان القدر، ومدارسة هذا المعنى في ضوء قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨]، وقوله ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُعْطُوكَ شَيْئًا لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُعْطِيَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا أَنْ يَصْرِفُوا عَنْكَ شَيْئًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُصِيبَكَ بِهِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، فَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ**»[١].

ويجب على الداعية أن يعلِّم الأمة وجوب العمل والسعي لرفع البلاء، وتحرير الأرض وصيانة العِرض، وحماية المقدسات بالجهاد، وأن ذلك من الأمر الإلهي الطلبي التعبدي، وأنه يجب على المؤمن أن يعمل بغاية جهده لينازع القدَر

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٣)،والحاكم (٦٣٠٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بالقدَر، وأن يجتهد ويجاهد ليزول قدرُ الاحتلال بقدرِ الجهاد والتحرير! قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [النساء: ٨٤].

فلا يميل المسلم مع «جَبْرٍ» يُقعده عن الجهاد، ولا يجزع إن نزل به المقدور المحذور!

ولقد علَّم أهل غزة وفلسطين العالم بأسره كيف يكون الصبر والرضا والاحتساب عند نزول المصاب، كما علَّموهم كيف يكون السعي والاجتهاد في إقامة الجهاد الذي يراغمون به أنوف المعتدين من كل مذهب باطلٍ ودين محرَّف!

وهذا درسٌ بليغ يشرحه الداعية على منبره وفي مسجده؛ حين يشرح كيف يؤمن العبد بالقدر، وكيف يسعى العبد تحت سلطان القدر، وكيف يجمع بين الرضا بالقضاء، وبين اتخاذ الأسباب، والتوكل على رب الأرباب!

قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

وهنا يستحضر الداعية كلماتٍ مأثورةً من ألسنة الأمهات واليتامى والأرامل، بل والأطفال الذين تربوا على أرض الرباط، مما يعكس إيمانًا عميقًا وفهمًا دقيقًا لهذه القضية، وعلى مثل ذلك ينبغي أن يربي شباب الأمة.

٤- الرد على المخالفين المنحرفين في باب القدر:

وهؤلاء منهم من يقول: لم يكن عليهم أن يجاهدوا؛ وذلك حفظًا للأنفس، والممتلكات، ولو أنهم ما قاتلوا ما قُتِلوا، ونحو ذلك! ومنهم من يقول: هذا قتالٌ لا فائدة منه، وآخرون مرجفون يقولون: هذا يفضي إلى النكاية في أهل فلسطين، ولا نكاية له في أعداء الدين، وغير ذلك من الإرجاف.

ويكون الرد عليهم في ضوء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وفي كل ذلك تصحيح لعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، مع تحمُّل نتائج الأعمال وما يترتب عليها من نجاحٍ أو فشل، وهذه دروسٌ بليغةٌ يتناولها الداعية لتصحيح الإيمان واليقين، وتعليم الرضا والصبر على الأقدار المؤلمة، مع تعليم الأمة فضل الثبات برغم التضحيات!

٥- تحقيق أعمال القلوب وعبادات الباطن التي هي ركن الإيمان:

معلومٌ أن الإيمان اعتقادٌ وقولٌ وعمل، وأصله الذي يكون في القلب من الإخلاص والصبر واليقين، والصدق والتسليم، والاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه، وغيرها من الأعمال القلبية، وهذه الأعمال فرضٌ على كل مسلم في قلبه، وهي أفرضُ من عبادات الجوارح وألزم، وهي أصل الدين، والأكثرُ ثوابًا، والأعظمُ أجرًا.

والداعية يتناول هذا الشِّقَّ العقديَّ المهمَّ من خلال ما يظهر عند المصائب من الإخلاص لله في البذل والعطاء، والعمل والجهاد، وما يكون من الصبر واليقين، والاحتساب للثواب، مع ما يبديه أهل فلسطين من الثبات والاستسلام لله تعالى، والاستعانة بالله على مشاقِّ الجهاد، والاستغاثة به وحده في تفريج الكرب، وتفويض الأمر إليه وحده توكُّلًا واعتمادًا، مع تمام الطمأنينة والسكينة، والثقة بالله.

وذلك كله في ضوءٍ من قوله تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وما كان أهل الرباط في فلسطين ليثبتوا لولا ما عمر قلوبهم من الإيمان واليقين في موعود رب العالمين، وبالصبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدين.

وعلى الداعية أن يغذي قلوب مستمعيه بذكر أحوال السلف الصالح، وما كانوا عليه من الرضا عن الله والصبر والاحتساب، ويذكر من أخبار التاريخ وعِبَره ما يؤكد أن العاقبة للمتقين، وأن النصر لجند الله المخلصين.

٦- أثر العقيدة في استقامة الأخلاق والسلوك والتربية على ذلك:

فالعقيدة لا يكمل الانتساب إليها إلا بالعمل بها والدعوة إليها والانضباط بها، وهذا يظهر في تصريحات المجاهدين والسياسيين، والدعاة والعلماء، والعامة جميعًا بفلسطين.

وكيف انضبطت عباراتهم ومواقفهم بالإيمان الصحيح، وكيف صدروا في ذلك كله عن إيمانٍ عميقٍ بالله تعالى، وبطريق الجهاد والفداء، ووضوح أثر صحة المعتقد عليهم في التضحية بالغالي والنفيس، وتحمل الأهوال والصعاب!

والداعية يعالج هذا الجانب في ضوء قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وفي ضوء قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤٢]، وكما يُضرَب القدوة والمثل بشهداء أحد وغيرها من الغزوات، يضرب المثل بشهداء فلسطين اليوم!

ويشرح قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]، وبالنظر إلى حياة وممات العلماء والدعاة والمجاهدين المرابطين ببيت المقدس وبأكناف بيت المقدس في هذه المعارك التي تدور على ربى الأرض المباركة.

٧- التحذير من فتن المنافقين والمرجفين المخذِّلين، وضعاف الإيمان ومواجهتهم:

ولقد وُجد ذلك التخذيل والإرجاف في العهد الأول مع قيام دولة المسلمين في المدينة، وسُمعت كلمات الإرجاف، من مثل قولهم: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩].

ومثل: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

ومثل: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢].

ومثل: ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١].

ومثل: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥].

ومثل: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣].

وصدق الله حين حذَّر منهم ومن مقالاتهم، فقال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

وهكذا أُطلقت ألوانٌ من الشائعات والأراجيف والفتن، فمنهم من يطالب الضحايا بضبط النفس، ويأمر الضحية بألا ينتفض بيد قاتله، ولا يقاوم حين ينتهك عرضه ويسفك دمه!

ومثل هذا الإرجاف يوجد اليوم حول القدرة على الاستمرار، وضعف العدد والعدة، والاستسلام للعدو، وأن المجاهدين في الخارج الفلسطيني يقامرون بمن في الداخل، ويجاهدون من الفنادق ويتركون أهل الخنادق، ويجمعون أبناءَهم ويتركون أبناء الشعب للقتل والتجويع... وغير ذلك من التهم الباطلة!

ولقد برهنت الأحداث على كذبها وكذبهم، فقد كان في طليعة الشهداء أبناء القادة وأحفادهم، بل وبناتهم وحفيداتهم أيضـًا!

وهناك من يكشف عن وجهه صريحًا، فيتَّهم المجاهدين بالتطرف والإرهاب والغلو، وأنهم من الخوارج أو الدواعش، مردِّدًا ما يقوله الصهاينة وأولياؤهم!

ولقد أثخنت كتائب المجاهدين في جيش الاحتلال، فقتلت آلاف العسكريين، وجرحوا عشرات الآلاف، وفي المقابل أثخن الصهاينة في المدنيين العزل، فقتلوا وجرحوا عشرات الآلاف، فأين من يقاتل بشرف ممن

يقاتل بخسَّة!

وتلك مناسبة ليصحِّحَ الداعية المفاهيم في مجتمعه، وينبِّهَ إلى خطر النفاق وأهله، ويسوق شبهات وأراجيف النفاق قديمًا وحديثًا، ويقارن بينها ليردَّ عليها بكل حسم، وليعمل على تنقية القلوب، وتمحيص الصفوف، والتحذير من مسالك الإرجاف والتخويف!

ثانيًا: التأكيد على أهمية العمل التربوي الجاد:

متى كان الفرد صالحًا مصلحًا كانت الأمة كذلك؛ لأنها مجموع الأفراد، فمدار الأمر على صلاح الفرد وصحة تدينه، ومن اعتنى بصلاح نفسه وقوة إيمانه، وسعى في تحصيل القوة بكل معانيها فقد خطى الخطوة الأولى نحو إصلاح أمته!

وإن التربية الجادة هي صمام الأمان في المجتمعات القوية، وهي ما تربَّى عليه هذا الجيل المجاهد على رُبَى فلسطين؛ فهي تربيةٌ على أيدي العلماء والدعاة الربانيين، فكان حفظةُ كتاب الله تعالى هم قادة هذا الجهاد، وأئمة المساجد هم أعيان الشهداء في هذه المعارك، وأبناء الكليات الشرعية هم وقود هذا الطوفان المبارك!

ولقد أراد الله تعالى أن تكون هذه الصفحة المشرقة من الجهاد في فلسطين خالصةً لأهل السنة، لا شوب فيها للعلمانيين ولا للصفويين، ولتبقى راية الجهاد السني مرفوعة بحمد الله، بالرغم من تواطؤ أصحاب المشاريع

العلمانية والقومية والباطنية مع الصهاينة!

وهذه التربية الجهادية السُّنية إنما هي تربية على الزهد، وطول العبادة، والتوكل على الله تعالى، والمسارعة، والمسابقة في طلب الدار الآخرة، تلاوةً للقرآن، وقيامًا لليل، ومداومةً على الخيرات، واجتهادًا في موافقة الظاهر للباطن، واستقامةً على منهج الله، واستعدادًا للشهادة!

ويتناول الداعية في دعوته صفحاتٍ مشرقةً من سيرة هؤلاء الأبطال من الرجال والشباب، والأمهات والفتيات، ويَضربُ بهم المثل الحي في الإيمان والعمل، والجد والاجتهاد، ويُظهِر أثر العمل التربوي في صناعة الأجيال، وبناء الصفوف الثانية، ويفصح عن سرِّ التمكين، ألا وهو: التربية الجادة، ويبين أن الواجب التربوي هو طريقُ الخلاص، وأسُّ التمكين، وأن التربية والتزكية من معالم منهج الأنبياء وطريق المصلحين.

قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

ومتى رُبِّي شبابُنا وفتياتُنا على ما تربَّى عليه الشباب والفتيات في فلسطين وغزة اليوم؛ فإن وجه مجتمعاتنا سوف يتغير، وشتان بين الشباب الغارق في الترف والشهوات، والشباب الذي تربَّى على المعالي ومكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، وتخرَّج بالصبر والجهاد والرباط!

إن الفارق يتبدَّى شاسعًا بين الشباب الملتف حول كرة القدم اليوم

يحضر مبارياتها ويتابع أحداثها خلف الشاشات، وبين الشباب المرابط على ثغور فلسطين والمجاهد لتحرير المقدسات!

وبعد افتضاح موقف العالم الغربي وقواه العظمى من العدوان على فلسطين، فهل ستعيد الدول العربية النظر في موقفها من التغريب والعولمة، والتبعية المفروضة في الثقافة والتربية والتعليم؟!

وهل ستوقف العبث بالهوية الإسلامية والعربية في مناهج الدراسة في جميع مراحل التعليم؟!

ثالثًا: التأكيد على أهمية الاجتماع والوحدة والتعاون في صدِّ العدوان:

إن اجتماع القلوب على الحق يفضي إلى اجتماع السواعد على نصرته، وما كان للجبهة الداخلية في غزة أن تتماسك مع هذا القصف العنيف والدمار الهائل لولا تماسك القلوب، واجتماع الصفوف بعد فضل الله العظيم!

إن الألفة والوحدة التي جمعت بين شباب غزة وفلسطين في هذه الساحات الجهادية هي التي مكَّنت- بفضل الله- من مواصلة الطريق برغم التحديات والتضحيات.

ولقد شهد العالم أن كل الفصائل المجاهدة على قلب رجلٍ واحد، كما شهدوا أن العامة والخاصة على قلب رجلٍ واحد -أيضًا-؛ ولهذا لم يتمكن الإعلام من زرع الفتنة، ولم تُنقل إلا كلمات الصبر والثبات

والاحتساب من الصغار قبل الكبار، ومن الأمهات قبل الآباء، ومن النساء قبل الرجال! وإن كان من دعاء فإنما هو على الكافرين المعتدين، وحلفائهم وأوليائهم المنافقين!

وبناء على ما تقدم: فقد انعقد إجماع المسلمين على نصرة المستضعفين من أهل الأقصى والقدس وفلسطين، ولا توجد قضيةٌ معاصرةٌ توحِّد الأمة الإسلامية اليوم، وتجتمع عليها، وتجمع بكل فئاتها على نصرتها مثل القضية الفلسطينية.

والداعية حين يعالج قضايا الوحدة والاجتماع يستحضر معاني التآخي التي جمعت بين الصحابة من المهاجرين والأنصار، وما كانوا عليه من اجتماع القلوب والأبدان على نصرة الإسلام، وأنه كلما بدرت بادرة تُعكِّر الصفو تصدَّوا لها حرصًا على الوحدة واجتماع الكلمة، ويستعرض الداعية ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ومتى بُنيت المجتمعات على هذه المعاني كانت قويةً ومتماسكة الصفوف متراصة البنيان.

رابعًا: التنبيه على حقائق القرآن والسنة في ميدان الجهاد:

لقد أنفق الأعداء ملياراتٍ في تسليح جيشهم، وبناء جدارٍ فاصلٍ ظالم! فلما جاء الإذن الإلهي لم تغن عنهم جدُرُهم ولا تحصيناتهم من الله شيئًا، وتحركت جيوش الإيمان فهدمته جرافة متواضعة الإمكانيات! وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

إن ما تحقق من مراغمةٍ للأعداء في هذه المعركة الطويلة أمرٌ عظيم جدًّا، يتناوله الداعية في ضوءٍ من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ.

ولقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال سبحانه: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤-١٥].

وقال سبحانه: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

وفي الحديث: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»(١).

إن الداعية الموفَّق يغرس في أشبال أمته أن أصحاب الأرض المباركة ينبتون فيها، وتضرب جذورهم في تربتها كشجر الزيتون، تمتزج بثراها حبات العرق مع قطرات الدم، في ربوعها يعيشون، وعنها لا يرغبون، وعلى رباها يجاهدون، وفيها يدفنون، أما الطارئون عليها فلا مقام لهم فيها، يستنزفون خيراتها، ويخربون ديارها، وعند أول خطرٍ يغادرونها!

خامسًا: إحياء جانب التكافل الاجتماعي، والعمل الخيري لإغاثة الملهوفين، ورعاية والمنكوبين:

وهو جانب شديد الوضوح والأهمية في ضوء الظروف التي يتوجَّب معها إغاثةُ أهلِ الإسلام بالزكاة والصدقات، وسائر التبرعات، وهو جانب تُجمِع عليه البشرية بكل شرائعها ومللها ومواثيقها.

والداعية يستحضر طائفة كبيرة من النصوص لأجل تربية الناس على هذا البذل والعطاء.

ويطالب من خلال منبره ودعوته أن يكون البذل والتكافل في الأمة عملًا دائمًا لا ينقطع، ويذكر الناس بمثل قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله سبحانه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ويحذر أشد التحذير من تعويق وصول المساعدات إلى أهلها، وأن ذلك من عداء المؤمنين، وولاء الكافرين والمنافقين! ويطالب بفتح المعابر والحواجز وكل الطرق لإغاثة المستضعفين ونجدة الملهوفين، وعلاج الجرحى والمصابين.

سادسًا: معالجة النوازل والمستجدات جرَّاء الجهاد ونازلة الطغيان:

لقد ترتَّب على الوفيات تحت الهدم، وفي القصف مسائل ونوازل تتعلَّق بالعِدَد، والإرث، وكثير من الأحكام الشرعية التي تنتظر التصدي لبيانها.

كما أن مشاركة الصليبية والعلمانية للصهيونية في الحرب على الإسلام وأهله في فلسطين، ينشئ واقعًا تمس الحاجة إلى بيانه بالأحكام الشرعية في مختلف مجالات الحياة.

وغني عن البيان أن مواجهة التطبيع وما يترتب عليه وما يؤول الأمر إليه، يتطلب إيضاح الأحكام وإصدار الفتاوى الشرعية.

وفي هذه النازلة أيضًا ممارسةٌ لفقه الضرورة، ومدافعةٌ بين المصالح والمفاسد تتطلب نظرًا دقيقًا عميقًا.

كما تمس الحاجة إلى بيان حكم انتساب بعض الناس إلى جيش

الاحتلال، سواءً من البدو، أو الدروز، أو غيرهم، وغير ذلك من القضايا العلمية المهمة.

وربما احتاج أهل هذا الزمان لإعادة الاجتهاد في حكم زيارة فلسطين والقدس والأقصى تحت الاحتلال، ومدى إمكانية دعم أهل الأرض المباركة من خلال هذه الزيارات، مع رفض ما يسمى بالتطبيع!

سابعًا: تحقيق مفهوم البلاغ المبين بقضية فلسطين:

إنه ليس للظالم المعتدي حقٌّ حتى يقال: حق الغاصب في الدفاع عن نفسه، فيكون له الحق في قتل الأطفال والشيوخ والنساء والمدنيين الآمنين! إنما الحق للمعتدَى عليهم في ديارهم وأوطانهم! والمحتلة أرضهم والمنتهكة مقدساتهم!

وإن الداعية يتمكن من خلال السياق المعاصر أن يقدِّم سردية واضحة لدينه الحق، ولقضية فلسطين العادلة، وأن يبين أنه لا حقَّ للصهاينة في الأرض بموجب الدين، وبحقائق التاريخ، وأن فلسطين وطنٌ له شعب يقاتِل على حقِّه ولا يستسلم أبدًا.

وعلى العالم والداعية أن يبيِّن أن قضية الأرض المباركة هي قضية الأمة جميعًا، وهي وعدٌ صادق، وأن كل مؤمن له عمله في نصرتها وحمايتها وتحريرها من مغتصبها، وأنه عند العجز عن ذلك فلا بد من إبقائها حية، وصناعة جيل التحرير!

وإذا كان القصاص من القتلة فيه حياة لأولى الألباب؛ فإن الجهاد لأعداء الأمة والملَّة فيه حياة العزة لجميع الأمة!

وهنا يستحضر الداعية من الآيات والأحاديث ذخيرةً هائلةً؛ ليتحقق هذا الهدف، من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فالأرض المباركة هي إرثٌ إلهي لمن استقام على منهج الله، وهم المسلمون، متى جاؤوا بشروط النصر، وسيزول العدوان حين يتأكد أهله أنه لا بقاء لهم ولا أمان على الأرض المغتصبة! وكما لا يستطيع أحدٌ أن يمنع السماء أن تمطر، فلا يملك أحدٌ أن يمنع المقاومة أن تثمر وتزهر!

ومن خلال ما يتدرب عليه الداعية من الوسائل والأساليب الدعوية في هذه القضية يتمكن من استعمالها في كل قضية يتحتم إشاعة العلم بها من قضايا الدعوة والبلاغ.

ثامنًا: دعوة غير المسلمين من خلال أحداث فلسطين:

ولقد تمكَّن أهل غزة من تقديم صورةٍ مذهلةٍ للمسلم المجاهد المرابط على حقِّه وأرضه، المراغم لعدوِّه، مما أثار انتباهَ كلِّ باحثٍ عن الحق والحقيقة في العالم بأسره!

ومن هنا طالع العالَمُ القرآن الكريم كتابَ المسلمين الذي أمدَّهم بكل

تلك الطاقة الهائلة على الصبر والعمل، والجهاد والاستشهاد، بما لا يُعرَفُ له مثيلٌ في الدنيا اليوم!

ولأجل هذا أعلن كثيرون في العالم -وما يزالون- إسلامهم على خلفية إعجابٍ وتأثُّرٍ شديدين بالمسلمين في ثباتهم، ورحمتهم معًا، وهذا من أعظم النصر!

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا، ومن ذلك: حملة قادتها الأمريكية المؤثرة على وسائل التواصل الاجتماعي «ميجان رايس»، لقراءة القرآن الكريم للبحث عن سبب ثبات وصمود أهل الإسلام في غزة، وقد انضم إلى هذه الحملة أعدادٌ غفيرة من الفتيات الغربيات، بعضهنَّ يهود، وأسلم كثير منهنَّ، وانتشرت مقاطعهنَّ المصورة، وهنَّ يقرأن آيات من القرآن أو ينطقن الشهادتين، وعلى رأس هؤلاء «ميجان رايس» التي ابتدأت هذه الحملة.

بل إن جنديًّا إسرائيليًّا سابقًا أعلن إسلامه في بث مباشر على موقع YouTube، وذلك بعد حكايته لفظائع ارتكبها هو ورفاقه في غزة عام ٢٠٢١م[١].

ولقد كشفت المظاهرات التي اندلعت أولًا في الجامعات الأمريكية في شهر أبريل عام ٢٠٢٤م عن تأثرٍ كبيرٍ للطلبة في الجامعات المرموقة بأمريكا بزملائهم وجيرانهم المسلمين في الجامعات وفي الأحياء السكنية، بما يدعو

(١) راجع ما نشر على قناة الجزيرة بشأن ذلك على الرابط التالي:

https://www.ajnet.me/programs/beyond-authority/2024/2/9

لتغيير الصورة النمطية التي صاغتها دوائر الإعلام الصهيونية والصليبية عن المسلمين، بما يدعم الإسلاموفوبيا!

تاسعًا: كشف زيف الحضارة المادية، وبيان إفلاسها فيما تتشدق به من حقوق الإنسان، والقانون الدولي الإنساني:

إن العالم الغربي قد يَهُبُّ لإنقاذ قِطَّةٍ سقطت في بئر، وتعمل منظمات حقوق الحيوان بكل جدية لتدارك الأمر! أما آلاف الأطفال والنساء والشيوخ الذين يبادون في غزة فمنظمات حقوق الإنسان إلا من رحم الله – عنهم صماء عمياء بكماء!

لقد أدرك الغرب والغربيون اليوم بجلاء، كما تشهد بذلك مقاطع مرئية لعدد من الساسة والمفكرين والقسس ومقابلات إعلامية مع فنانين ورياضيين ورجال أعمال، بل وعسكريين سابقين وحاليين- كلهم يشهدون على إفلاس حضارتهم المادية، التي لا تحترم حقوق الإنسان، وإنما تتظاهر بحماية حقوق الإنسان الغربي فقط! أما حقيقتها فهي المادية الحيوانية، والمصالح الفردية، والشهوات الآنية، والعقائد الباطلة والانفلات من القيم إلا عند الخوف من القانون فقط!

ولقد أصدرت محكمة العدل الدولية حكمًا يدين الممارسات الإجرامية، وينهى عن الإبادة الجماعية في غزة، ويدعو إلى حماية المدنيين[1]، فما زاد ذلك

---

(١) وذلك في ٢٦/ ١/ ٢٠٢٤م.

الآلة الإجرامية إلا شدة وعنادًا، سواء من قبل الصهاينة أو الصليبيين!

وكل ذلك شاهد عدل على إفلاس المشروع الغربي، وانحياز ما يسمى بالنظام العالمي والمجتمع الدولي ضد أهل فلسطين وقضيتهم العادلة، بما يخالف ما يدَّعون الإيمان به من الديموقراطية والحرية!

وقد قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وأخيرًا: فإن استمرار التواطؤ على قتل الأطفال والشيوخ والنساء والمدنيين والأبرياء في غزة وفلسطين تحت سمع وبصر المجتمع الدولي، - يؤسس لانهيار النظام العالمي بمؤسساته العاجزة، ويؤذن بزواله، ولعل في ذلك الخير لأمتنا المكلومة من أعدائها، والمنكوبة ببعض أبنائها!

عاشرًا: بيان قيمة الإعلام في طوفان الأقصى، وأنه من أدوات الجهاد المعاصر:

لقد أصبح الإعلام -وبيقينٍ- أحد أهم أدوات الجهاد المعاصر، إذ خاض الإعلام الحر -وعلى رأسه قناة الجزيرة القطرية- معركة الوعي، وأدارها باقتدار، مما أعان على إعادة تشكيل الرأي العام العالمي، وكشف

بجلاء عن وجه دموي قبيح للصهيونية والصليبية العالمية، وتحركت جموع البشر في دول كثيرة تطالب بوقف المجازر، وتنكر على الساسة الغربيين تواطؤهم، وتلاحقهم في كل مناسبة، وهذا يرجع الفضل فيه إلى نقل الأحداث وتصوير المآسي، وفضح المؤامرات، ونقل البطولات والتضحيات، وكشف كذب الادعاءات.

والداعية يوجه إلى العناية بهذه الوسيلة المهمة، وذلك في ضوء ما يستحضره من أدلة نقلية وعقلية وواقعية على أهمية استبانة سبيل المجرمين، وتحقيق الوعي بالوقائع والأحداث، وإقامة الشهادة على الخلق، وإيضاح طريق الحق، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

فالإعلام هو وسيلة الدعوة والبلاغ، الذي تصل به كلمات الحق إلى الخلق، وبلاغ الدعوة هو مهمة الرسول ﷺ وأتباعه من بعده، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ويقول نبينا ﷺ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ**»(١).

كما أن الإعلام الهادف والرسالي سببٌ لتثبيت القلوب، وتصبير الأفئدة، فقد تساءل الخضر متعجبًا: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]،

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٣٥٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالإحاطة بالأخبار ومعرفة الحقائق من أسباب الصبر والثبات بإذن الله، كما أن إعلام الإرجاف والتخذيل له أسوأ الأثر على الأمة عامة، وفي حال مواجهة الأعداء خاصة، حتى لقد جاء القرآن الكريم بتهديد أهل الإرجاف، فقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب:٦١].

حادي عشر: تجلية وتصحيح مفهوم النصر في القرآن والسنة:

إن النصر له مفهوم واسع وخاص في القرآن والسنة، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]، ولكن قد ينتصر الإيمان في وجه الطغيان، ولو اصطفى الله أهله شهداء! كما اصطفى يحيى بن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الأنبياء، ورفع عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إليه، واصطفى أهل الأخدود، واصطفى ماشطة ابنة فرعون، واصطفى من الصحابة ومن بعدهم من شاء، قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

إن الله تعالى له الحكمة البالغة فيما قدره في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وتأخر النصر لا يكون شرًّا محضًا، وقد قال سبحانه: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ [النور: ١١]، واستبطاء النتائج الذي يفضي إلى الشك أو القنوط ممنوع منه، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]،

ولا بد من الصبر والثبات، وهذه سنة الأنبياء: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ولقد تمكنت كتائب المجاهدين المرابطين من الثبات أمام القوة العالمية، والأسلحة الفتاكة، فما استنقذ الصهاينة منهم أسيرًا، ولا أسروا من المجاهدين قائدًا، ولا حقق الله لهم غاية، ولا رفع لهم راية، والداعية يبين هذه المعاني كما يبين موانع النصر وأسباب الخذلان.

ومما يجدر بالعالم بيانه أنه غلا وجفا في مفهوم النصر وأسبابه طائفتان:

الأولى: زعمت أن مجرد الانتساب إلى الإسلام كافٍ في تحقيق النصر، ولو تلبَّس المسلمون بالكبائر وارتكبوا الجرائر!

والثانية: زعمت أنَّ أيَّ إخلال بأيِّ سنة، أو أيِّ نقص هو سببٌ تامٌّ وافٍ في منع تنزل النصر على الأعداء! ولو تشبث المسلمون بأصول دينهم!

والحق أنه ليس صحيحًا أن المسلمين إذا قصروا في بعض السنن حجب الله عنهم النصر على الكفار لأجل هذا الخلل!

ولقد انتصر المسلمون كثيرًا على أعدائهم بما معهم من الإيمان والتوحيد، والعدة المادية، ولو وُجد في أمراء الجيش أو جنده بعض الذنوب أو المخالفات!

فالمجاهدون ليسوا بمعصومين، فمتى اجتمعت أسباب النصر وشروطه المادية والمعنوية وانتفت موانعه؛ تحقَّق بإذن الله.

وليس صحيحًا أن الله ينصر المؤمنين المفرطين باختيارهم في أسباب النصر كلها أو بعضها بزعم التوكل على الله! وليس من الضروري أن تكون قوتهم مكافئة لقوة عدوهم في عددٍ أو عُدَّة!

قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وليس صحيحًا أيضًا أن المسلمين إنما يحتاجون فقط لقائدٍ مثل صلاح الدين كيما ينتصروا!

فلو ظهر صلاح الدين في أمة لا تجاهد فلن ينتصروا، والقائد الجدير بالنصر لا يخرج إلا من أمة مجاهدة ناهضة، فالأمة المجاهدة شرط لوجود القائد وليس العكس!

وليس صحيحًا أيضًا أن الغالب على تاريخ أهل الإسلام والسنة الهزيمة وعدم التمكين! وإنما يقع البلاء والمدافعة، ويقع الصبر واليقين ومن ثم يأتي التمكين!

ودين الحق منصور بالحجة والبيان وساطع البرهان، فلا يُهزَم من هذه الجهة أبدًا.

وقد ينتصر أهله بالسيف والسنان، وقد يهزمون إن هم فرطوا في الأخذ بالأسباب، ولم يعملوا وفق السنن الإلهية!

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

واستشهاد الأنبياء والأولياء سببٌ لانتصار الحق، والدعاء الصادق،

والنصح الواثق، والتوبة النصوح، والتربية الجهادية، والبذل بكل صوره ومجافاة الترف والسرف- كل ذلك من أسباب النصر ومن عدته!

وإدراك سنن الله في التغيير والإصلاح والمدافعة والتمحيص، ومداولة الأيام بين المؤمنين والكافرين واستدراجهم هو بداية النصر والتمكين!

وما انحدر إليه المسلمون من الهوان والوهن إنما هو بسبب حب الدنيا وكراهية الموت! وتنكيس أعلام الجهاد، واستبدال الشريعة، والتفرق في الدين والدولة على حد سواء! ولو عملوا بأحكام دينهم وراجعوا أسباب النصر لا تنصروا، ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

وحين يتغلب الكفار فلا يدافعهم المؤمنون ولا يغيرون ما بأنفسهم من مخالفات وانحرافات فإن التغيير الإلهي يأتي عبر سنة الاستبدال، قال سبحانه: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٣٩].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وعلى أهل الإسلام جنودًا وقادة أن يفزعوا إلى الله تعالى بالدعاء، الذي به يتحقق النصر على الأعداء، وعلى المقاتلين والمدنيين أن يلهجوا باستنزال النصر من الله العزيز الحكيم.

قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

ثاني عشر: تجديد ثقة المسلمين بدينهم وحضارتهم، والرد على الدعايات الكاذبة:

في لحظة فارقة -وبعد نحو مائتي يوم من العدوان- تظاهر جمع من طلاب جامعة أمريكية مرموقة هي جامعة كولومبيا، فاستدعت رئيسة الجامعة الشرطة للطلبة المطالبين بتوقف الإبادة الجماعية والفصل العنصري، الذي تمارسه دولة الاحتلال الصهيوني، وكانت هذه شرارة فجرت الجامعات في أمريكا وأوروبا على حد سواء!

وطالبت القيادة الصهيونية بقمع تلك المظاهرات، واستجابت الإدارة الأمريكية، فداهمت قوات الشرطة الجامعات، واعتقلت من ساحاتها الطلبة والطالبات، وامتد الأمر للأساتذة والأستاذات، ضاربين بقيم الحرية والديموقراطية عرض الحائط، وانتهكت حرمة الطالبات والأستاذات، وشاهد العالم حقيقة شعار حقوق المرأة حين طالبت بالعدل مع أبناء غزة وفلسطين!

وخرجت جموع الطلاب في دول كثيرة وجامعات عديدة زادت عن ٧٥ جامعة تطالب بقطع استثمارات جامعاتهم في دولة الصهاينة!

وسمع العالم كلمات الطلبة والأساتذة من اليهود والنصارى والمسلمين وغيرهم، وهي تندد بالقتل الممنهج والمقابر الجماعية والاحتلال الصهيوني الغاشم لأرض فلسطين!

والتفتت تلك الجموع إلى السردية الإسلامية الحقوقية للقضية الفلسطينية، وتساءلت في نفس الوقت عن هذه الحضارة الإسلامية التي ملأت قلوب أهلها ثقة ويقينًا بحقهم، وصبرًا وثباتًا في وجه أعدائهم!

وامتدت الأيدي إلى القرآن وترجماته، والسنة ودواوينها، والحضارة الإسلامية وتاريخها، ليقف الجميع مبهورين ومشدوهين ومتعاطفين في نفس الوقت، ومتسائلين أين كان المسلمون عن هذا البيان طيلة السنين!

ولما رفع الصهاينة عقيرتهم بقمع تلك المظاهرات تصدى لهم فئامٌ من السياسيين والجامعيين والمثقفين، من كل ملة ودين في الغرب، وليردوا على أكذوبة أن كل استنكار لجرائهم إنما هو من معاداة السامية!!

فقال السيناتور بيرني ساندرز [(١)]: «لا يا مستر نتنياهو، إنه ليس من عداء السامية أو من دعم حماس أن نشير إلى جرائمكم بحق الفلسطينيين طيلة أكثر من ستة أشهر!

- لقد قامت حكومتكم المتطرفة بقتل أكثر من ٣٤ ألف فلسطيني، وجرحت أكثر من ٧٨ ألف فلسطيني، و ٧٠٪ من هؤلاء القتلى والجرحى من النساء والأطفال!
- إنه ليس من معاداة السامية أن نشير إلى أن قصفكم الهمجي قد دمر

(١) بيرنارد ساندرز، سيناتور ديموقراطي مستقل، من أصول يهودية بولندية، وهو عضو في مجلس الشيوخ الأمريكي منذ ٢٠٠٧ م.

أكثر من ٢٢١ ألف وحدة سكنية في غزة، تاركًا مليون إنسان في غزة بلا مأوى، وهو ما يقرب من نصف السكان بقطاع غزة!

- إنه ليس من معاداة السامية أن نشير إلى أن حكومتكم قد دمرت البنية المدنية بغزة، فالكهرباء، والماء، والصرف الصحي... كل ذلك قد دُمِّر تمامًا.
- إنه ليس من معاداة السامية أن نشير إلى أن حكومتكم المتطرفة قد دمرت نظام الرعاية الصحية في غزة تمامًا، وذلك بإخراج ٢٦ مستشفى عن الخدمة تمامًا، وقتل أكثر من ٤٠٠ من العاملين في مجال الرعاية الصحية!
- إنه ليس من معادة السامية أن ندين تدمير حربكم لجميع الجامعات الاثنتي عشرة بقطاع غزة، إضافة إلى ٥٦ مدرسة، مع تضرر مئات من المدارس الأخرى، تاركين ٦٥٢ ألف طالب بلا فرصة تعليمية!
- إنه ليس من معاداة السامية أن توافق تقريبًا كل المنظمات الإنسانية على أن حكومتكم تخالف القانون الأمريكي، وتعرقل بشكل غير معقول وصول المساعدات الإنسانية التي تدخل إلى غزة؛ مما خلق ظروفًا يواجه فيها الآلاف من الأطفال سوء التغذية والمجاعة!
- إن معاداة السامية هي شر مقيت، وشكل مقزز من التعصب الذي تسبب في أضرار لا توصف لملايين البشر، ولكن من فضلك لا تهن ذكاء الشعب الأمريكي بمحاولة تشتيت انتباهنا عن سياسات الحرب

غير الأخلاقية وغير القانونية لحكومتكم المتطرفة والعنصرية!

لا تستخدم معاداة السامية لصرف الانتباه عن الاتهام الجنائي الذي تواجهه في المحاكم الدولية، إنه ليس من معاداة السامية أن نحاسبك على أفعالك» [١].

وبإزاء هذه المظاهرات فقد قال مايك جونسون رئيس مجلس النواب الأمريكي: «جامعة كولومبيا سمحت لهؤلاء المتطرفين المحرضين بالسيطرة على الوضع، وهم يطالبون بمحو دولة إسرائيل، ومهاجمة طلابنا اليهود الأبرياء؛ ما أدى لانتشار فيروس معاداة السامية، وأدعو رئيسة الجامعة للاستقالة إذا لم تتمكن من فرض النظام»[٢]، وعند ذلك قام الطلاب اليهود في جامعة كولومبيا بالرد عليه، فقالوا: «المظاهرات ليست معاداة للسامية، وجونسون لم يقل الحقائق، وشعرنا بعدم الأمان عند احتلاله وداعمي الراديكالية للجامعة، ولم نواجه أيَّ سلوكٍ معادٍ للسامية في الجامعة، بل احتفلنا بعيد الفصح اليهودي في موقع الاحتجاج!»[٣].

وقد اضطرت منظمة العفو الدولية أن تدين القمع في الجامعات الأمريكية.

---

(١) وقد نشرت كلمته المتلفزة على كل من قناة الجزيرة والجزيرة مباشر يوم ٢٦ / ٤/ ٢٠٢٤ م، وفي موقعهما الإلكتروني.

(٢) موقع قناة الجزيرة الإلكتروني في ٢٦/ ٤/ ٢١٢٤ م.

(٣) موقع قناة الجزيرة الإلكترونية، ذات المنشور السابق في ٢٦/ ٤/ ٢١٢٤ م.

وإذا كان مندوب الصهاينة في الأمم المتحدة قد قام بتمزيق ميثاق الأمم المتحدة أمام العالم في اجتماع منقول تحت سمع وبصر الدنيا، فأي قيمة بقيت إلا لشريعة الغاب!

وإن ما جرى في فلسطين أجبر وزير خارجية الصين أن يقول لقناة الجزيرة في تصريح نشرته: «إن الصراع في غزة تجاوز الخط الأحمر للحضارة الحديثة، ويجب تصحيح الظلم التاريخي الذي يعاني منه الشعب الفلسطيني»(١).

ومن أعجب ما وقع: إقدام طيار أمريكي على إشعال النار في نفسه أمام السفارة الصهيونية في واشنطن؛ احتجاجًا على المذابح التي جرت في فلسطين بالسلاح والدعم السياسي الأمريكي، مناديًا بتحرير فلسطين قبل موته(٢).

وفي انكشاف واضح لتمالؤ المشروع الصليبي مع المشروع الصهيوني صدرت تصريحات لافتة من بعض كبار الساسة الأمريكيين حول أسباب الدعم الضخم -المالي والمعنوي- من بريطانيا والولايات المتحدة لإسرائيل، قائلين: «إنه توجيه من الإنجيل!».

لقد ظهر لكثيرين أن الجامع بين دوافع حروب الإبادة التي شنها الصينيون على الأيغور المسلمين، وقام بها البورميون على المسلمين

---

(١) موقع قناة الجزيرة على الشبكة العنكبوتية في ٢٥/ ٤/ ٢١٢٤ م.

(٢) وهو الجندي آرون بوشنل، وقد صور عملية إحراق نفسه وبثها مباشرة على موقع Twich، وذلك بتاريخ ٢٦/ ٢/ ٢٠٢٤م.

الروهينجا، ونفذها الروس على الثوار السوريين والليبيين، وشنها الصرب على البوسنيين هي ذاتها دوافع محاكم التفتيش في الأندلس والحملات الصليبية على الشام ومصر!

ثم بعد هذا كله يُتَّهم الغرب المسلمين بنشر الكراهية!!

وللعالم والداعية المسلم أن يلفت الانتباه إلى هذه المفارقات، ويوضح رسالة الإسلام لمجتمعه، ويقارن بين دعوة الإسلام السمحة، وبين حملات العداوة والعدوان التي يشنها الأعداء قديمًا وحديثًا، وينبه إلى واجب المسلم في الدعوة إلى دينه، وإقامة الحجة، بما لا قدرة لأحدٍ على ردها أو إنكارها!

وعلى الداعية المسلم أن ينبه جماهير الأمة أنه بدلًا من التأثر النفسي السلبي من رؤية مشاهد القتل والدمار، الذي قد يؤثر على البعض بالإحباط، فإن الواجب أن تتحول بوصلة المسلم إلى العمل المؤثر بكل صوره، وسوف ينتفع أهل فلسطين حين يتوجه كل مسلم إلى الدعم بماله ولسانه وقلمه، وحين يعلم الجميع أن الحزن المقعد عن العمل النافع منهي عنه! وأنه لا تجوز الاستكانة ولا الضعف ولا اليأس!

ثالث عشر: الدعوة إلى حضور المشروع السني المغيب عالميًّا:

تعدَّت الطائرات الصهيونية على القنصلية الإيرانية بدمشق في ١/ ٤/ ٢٠٢٤ م، مما أسفر عن مقتل ١٦ شخصًا من الإيرانيين وغيرهم، وقامت

إيران بالرد عبر إطلاق عشرات المسيرات والصواريخ على الكيان المحتل في ١٣/ ٤/ ٢٠٢٤ م، وما تبع ذلك من الرد الإسرائيلي بأيام، ولقد ترتب على تلك المواجهات بين المشاريع الثلاثة: الصليبي والصهيوني من جهة، والصفوي الإيراني من جهة أخرى أن ظهر بجلاء غياب المشروع السني عالميًّا!

حيث لاذت عامة الدول العربية والإسلامية بالصمت، واكتفى بعضها بتغريدات إدانة وتصريحات يمكن لأي شخص غير ذي منصب أو صفة أن يكتبها أو يقولها!

وهكذا يتواجه أصحاب المشاريع الصليبية والصهيونية والرافضية على أرض فلسطين وفي سمائها، أما المشروع السني العالمي فلا توجد دولٌ أو دولة واحدة تمثله في هذا الصراع، ومن أسف!

وإنما يقوم بتمثيله خير قيام شعب مجاهد مصابر مرابط، تقوده كتائب من الطائفة المنصورة بأكناف بيت المقدس!

وهذا مما يجدِّد الدعوة إلى قيام المشروع السني بحق! واستبعاد العلمانية والليبرالية والقومية وغيرها من الإيديولوجيات، التي باتت عريقة في الفشل! ومسئولة عما آل إليه الحال اليوم من تدهور في بلاد المسلمين بلا استثناء.

وأيًّا ما كان الأمر فإن من أعظم بركات طوفان الأقصى: السقوط الفاضح لكل الأيديولوجيات والحضارات المادية، وكل الدعاوى والادعاءات

المتهافتة، وارتفاع الإسلام بحضارته ومبادئه ورجاله الصادقين المعتزين بدينهم، والواثقين بنصر ربهم، الثابتين على الحق، والقابضين على الجمر!

قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [الفتح: ٢٨].

إن العالم اليوم والبشرية بأسرها تنتظر! في لحظة فارقة من الانفلات القيمي، وانكشاف الزيف الحضاري، وتعري الضمير الغربي المتصهين، إنها تتلفت باحثة عن القيم الحقيقية المقدسة، والحضارة الهادية الصادقة، إنها تنتظر من يهديها ويأخذ بناصيتها إلى سواء السبيل!

وليس هنا إلا الحضارة النبيلة؛ ولهذا فإنها لحظة الإسلام، لو كان أهله يدركونها قبل فوات الأوان! إن العالم بأسره مهيَّأ اليوم لمن يقدِّم له مشروعًا إسلاميًا سُنِّيًا للإحياء، وبدلًا من الهرولة نحو التركيع باسم «التطبيع»، فإن الأمة تنتظر من علمائها الربانيين أن ينتجوا مشروعًا إسلاميًّا جامعًا يهدي البشرية، ويأخذ بناصيتها إلى ما فيه نجاتها وصلاحها في الدين والدنيا، والآخرة والأولى، وصدق الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

إنه في ظل تلك الحقائق الظاهرة ما أحرى الربانيين أن يجتهدوا في إدراك السياسة الشرعية والأحوال الواقعية؛ لينتهوا إلى رؤيةٍ تقدم مشروعًا يحقق المشروعية، وما أجدر من ينتسب إلى دينه وأمته بصدق من الحكام أن يتبنى

ذلك المشروع بما يحفظ مكتسباته، ويخدم أمته، وُيبيِّضُ به صفحته.

والعالم الداعية يثبِّت القلوب، وينعش العقول للتفكير في سبل الخروج من هذا المأزق، والإفلات من هذا الضعف المطبق، والاستشراف للانعتاق من التبعية، وبناء المشروع السني العالمي، ومناداة كل قادر أن يأخذ مكانه في هذا العمل.

ولا وجود لهذا المشروع إلا بتملك أسباب القوة الإيمانية والمادية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وإنَّ من القوة أن تصنع سلاحك! ومن القوة أن تستقل بقرارك، ومن القوة أن توحِّد صفَّك، وتوالي أولياءك، وتواجه أعداءك.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

رابع عشر: تجديد الوعي والدين:

لقد كان من بركات هذا الطوفان تجديد الوعي والدين! وهذا ما يتمكن كل داعية من استثماره، بحيث إن ما جرى ويجري مثَّل إفاقة من وعي مزيف بالقضية الفلسطينية وبأعدائها الصهاينة، إنها حالة إدراك ويقظة وانتصار، تقابل كل حالات الانكسار!

لقد وعى أبناء هذا الجيل أنه الاستسلام والتركيع وليست التطبيع! وإنها فلسطين المحتلة، وليست يهودا والسامرة والجليل، إنه جهاد المحتلين وليس

نزاعًا عربيًّا إسرائيليًا، ولا فلسطينيًّا إسرائيليًا، وأنهم المغتصبون وليسوا بالمستوطنين، وأنها مغتصبات وليست مستوطنات!

إنها حالة وعي وإفاقة من الانهيار الذي صنعه الأعداء في كثيرين، بفعل دعايات كاذبة، ومن تنقيص الفعل المقاوم لهم وبخسه وازدرائه، ومن حال الشعور بالدونية والقهر والذل إلى حال من الشعور بالقوة والكرامة والشرف، إنها حالة تجديد للدين في القلوب والعقول، وخروج من التمحور حول الذات، والاهتمام بالمصالح الضيقة، إلى الاهتمام بمصالح الأمة.

وتحول من الاستسلام للدنيا وملذاتها الفانية إلى حال من الزهد والتضحية، ومجانبةٍ للمشاعر السلبية من الذلة والمهانة إلى توشح باليقين، وتصديق بالنصرة من رب العالمين!

إن هذا الطوفان يصوغ عقول وقلوب أبناء الجيل في ظل تحديات هائلة، ليس أمام الشباب إلا أن يتهيأوا لمواجهتها، وأن يستعدوا لمنازلتها، متسلحين بالوحي وبالوعي!

فلا يبقى إلا أن يتذرع الجميع بالصبر على المشقات واليقين في موعود رب العالمين، والتفاؤل بما وقع من تحولات، وما سيقع من مبشرات، ولأجل هذا فسنفرد حديثًا عن مبشرات النصر، وأسباب التفاؤل، وما وقع من نصر فعليٍّ في طوفان الأقصى المبارك.

ولئن كان سؤال: «كيف سينتصرون مع ضعف الإمكانات؟» مهمًّا، فإن

الأهم: كيف ستنصرهم أنت أيها المسلم؟ ثم النصر قبل ذلك وبعده محض فضل الله ومنته!

قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وسيظل انتصار هذا الطوفان لحظةً فارقةً في تاريخ هذه القضية تمحو عار انكسار أمتنا في ربوع العالم الإسلامي لعقود من الزمن!



الفَصْلُ الثَّالِثُ عَشَرَ

مبشرات النصر وصور من انتصار الطوفان

في كتاب الله وعود النصر والتمكين لأمة المسلمين، وقد بشَّر النبيُّ ﷺ بانتصار الإسلام وتمكينه في أحاديث ومناسبات كثيرة، صدقتها أيام الإسلام في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، وهي باقية في أمة الإسلام إلى يومنا هذا، بل إلى يوم القيامة، وما المعارك الدائرة والبطولات المسطرة في أكناف الأقصى اليوم إلا من طليعة تلك البشائر بفضل الله تعالى.

وفيما يلي بيان لبعض هذه الدلائل:

أولًا: البشارة بظهور الدين في العالمين:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وفي الحديث: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٥٧)، والطبراني في الكبير (٢/ ٥٨)، والحاكم (٨٣٢٦) من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي- في المجمع (٦/ ١٤)-: «رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح».

وفي الحديث- أيضًا-: «**لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**...»[١].

وإن شئنا أو أبينا فإن حرب أعداء الدين والأمة قائمة مفروضة علينا من الخصوم، من قديم وإلى يوم الناس هذا!

ثانيًا: البشارة باتساع الأمة، وامتداد ملكها:

في حديث مواقيت الحج والعمرة، ومواضع الإحرام دلالةٌ على اتساع مُلك الأمة وامتداده.

ففي الحديث: «**مُهَلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَالطَّرِيقُ الْآخَرُ الْجُحْفَةُ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ، وَمُهَلُّ أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمَ**»[٢].

وفي الحديث- أيضًا-: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**...»[٣].

وقد وردت الأحاديث المبشِّرة بفتح الشام، والعراق، واليمن، ومصر، وقتال الأتراك، والكرد، والانتصار عليهم جميعًا، وكل ذلك قد وقع بحمد الله.

كما جاءت البشارة بفتح القسطنطينية وقد وقع، وجاءت البشارة- أيضًا- بفتح رومية- وهي مدينة (روما)- ولَمَّا يقع هذا بعد.

وقد سئل ﷺ: «أيُّ المدينتين تُفتح أولًا: قسطنطينية، أو رومية؟ فقال

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٢) من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رسول الله ﷺ: **مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا**. يعني: قسطنطينية»[(١)].

وهي بشاراتٌ لكل مصلح وداعية، ومجاهد في سبيل الله، من لدن أنبياء الله تعالى، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه البشارات مسطورة في كتاب الله، منصوصة في سنة رسول الله ﷺ.

ثالثًا: البشارة بنجاة المؤمنين ونصرهم:

البشارة بالنصر من القرآن الكريم:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٤٥)، والدارمي (٥٠٣)، والحاكم (٨٣٠١) من حديث ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣]، وغير ذلك من الآيات المحكمات في نجاة أهل الإيمان ونصرهم في الدنيا والآخرة.

البشارة بالنصر من السنة النبوية:

عن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتيت النبي ﷺ وهو متوسِّدٌ بُردَةً، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شِدَّةً، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله؟! فقعد وهو مُحْمرٌّ وجهُهُ، فقال: **لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ**»(١).

رابعًا: البشارة ببقاء طائفة من الأمة ظاهرةً منصورةً إلى قيام الساعة:

في الحديث: عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»(٢).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١).

(٣) أخرجه الدارمي (٢٤٧٧)، والطيالسي (٣٨)، والحاكم (٨٣٨٩)، وصححه، ووافقه الذهبي.

وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»(١).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**، قال: **فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ﷺ، **فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ؛ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»(٢).

ولا يبعد أن تكون هذه الفئة المرابطة ببلاد فلسطين اليوم من تلكم الطائفة المنصورة في هذا الزمان؛ بل لا حرج في إطلاق ذلك بحمد الله، وقد قال قائلهم:

فإمَّا حياة تسرُّ الصديق ... وإما مماتٌ يغيظ العدا

خامسًا: البشارة بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيكون مع أمة النبي ﷺ:

الأمة المسلمة باقية ظاهرة إلى قيام الساعة، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

والآية في عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ- على الراجح- فهو حين ينزل يضع الجزية، ولا يقبل سوى الإسلام الذي أُنزل على خير الأنام ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٦).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١]، فنزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ آخر الزمان من علامات يوم القيامة.

وفي الحديث: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**. ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]»(١).

وقد سبق في الحديث: «... **فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ﷺ، **فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ؛ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»(٢).

وفي الحديث- أيضًا-: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»(٣).

سادسًا: حديث التجديد:

لقد سبق: أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»(٤).

وهذا التجديد مستمِرٌّ ما بقي الليل والنهار، وهو مع حديث الطائفة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٦) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم (٨٥٩٢).

المنصورة دالٌّ- بحمد الله- على تجديد الدين، وإتمام نوره في العالمين.

وفي السنة حديث ثالث يحمل ذات المعنى، وهو حديث: «**يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ**»(١).

سابعًا: أحاديث المهدي، وأحاديث الخلافة الراشدة:

أحاديث المهدي، وأحاديث الخلافة الراشدة كثيرة، قال عنها جمع من أهل العلم: إنها بلغت مبلغ التواتر، وهي تدل على وجود خليفة في آخر الزمان يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، بعد أن مُلئَتْ جورًا وظلمًا، وخلافة آخر الزمان هي خلافة راشدة على منهاج النبوة، ففي الحديث: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لا يَعُدُّهُ عَدًّا**»(٢).

---

(١) أخرجه الخطيب في الجامع، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض (١/ ١٢٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٧٣)، الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٣٨) من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تاريخ دمشق، لعلي بن الحسن ابن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩١٣) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي حديث حذيفة: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ**. ثم سكت. قال حبيب (يعني: أحد رواته): فلما قام عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته، فكتبتُ إليه بهذا الحديث أذكِّره إيَّاه، فقلت له: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين، يعني: عمر، بعد المُلْكِ العاضِّ والجبرية، فَأُدخِلَ كتابي على عمر بن عبد العزيز، فَسُرَّ به وأعجبه»[(١)].

وهو يدل على أن خلافةً راشدةً تنتظرها الأمة بعد المُلْكِ العضوضِ والجبري.

وهذا يدل على أن المستقبل للإسلام، وأن مستقبله كماضيه: انتصار وازدهار وانتشار، ولو تخلل ذلك شيء من الضعف، أو الانكسار.

ثامنًا: انتصار أهل الإسلام على اليهود في آخر الزمان:

ومن أعظم البشارات انتصار أهل الإسلام على اليهود في آخر الزمان، وفي الحديث: «**تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ: يَا**

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٤٠٦)، والطيالسي (٤٣٩)، والبزار (٢٧٦٩- البحر الزخار) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الهيثمي- في المجمع (٥/ ١٨٨)-: «رواه أحمد في ترجمة النعمان، والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في الأوسط، ورجاله ثقات».

عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ»[١].

وفي الحديث أيضًا: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُود**»[٢].

وهذا يدل على أن القتال سيكون إسلاميًّا، وأن القتال مع شراذم اليهود ممتدٌّ إلى آخر الزمان، وأن اليهود لن يتمكَّنوا من القرار والاستقرار بفلسطين حكامًا لها، وأن أهل الإسلام في جهادٍ ورباطٍ بأرض فلسطين إلى قرب قيام الساعة.

تاسعًا: دلالات تاريخ الأمة:

لقد واجه النبي ﷺ غربة الدين الأولى حتى انقشعتْ، وأنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

حتى كتب الله لنبيه النصر والعزة والتمكين، وترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها، وعلى منواله نسج الراشدون، ومن بعدهم الأمويون، والأمة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٢٥)، ومسلم (٢٩٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تنتقل من نصر إلى نصر، ومن عز إلى فتح، ومن تمكين إلى تمكين.

ثم جاءت في عهد العباسيين حروب صليبية، وأخرى تترية، فأما الصليبية فعبر حملات احتلوا فيها أكثر مدن الشام وبيت المقدس، وقتلوا من المسلمين من لا يُحصَى، ورفعوا الصليب على قبة الصخرة، واتخذوا من المحراب والمسجد اصطبلاتٍ لخيولهم وخنازيرهم، وقُتل من أهل الإسلام زهاءَ تسعين ألفًا!

وكان هذا في عهد الفاطميين العبيديين الذي أفسدوا عقيدة المسلمين، وبدَّلوا شرائع الدين، وانتشرت في عهدهم المذاهب الباطنية، وأهل البدع الشركية، ثم ما لبثتِ الأمةُ أن نهضتْ نهضةً على يد عماد الدين زنكي، فواجه الصليبيين وقاتلهم، ومن بعده جاء ابنه نور الدين الشهيد الذي استنقذ عددًا من المدن والحصون من قبضة الصليبيين، ثم توَّج اللهُ هذا النصرَ للمسلمين بالناصر صلاح الدين الذي مهَّد له الطريقَ نورُ الدين الشهيد، ومن ثَمَّ قضَى صلاح الدين على فلول الفاطميين، واستردَّ بيت المقدس بعد حطين (٥٨٣هـ).

وطهَّر بيت المقدس من الصلبان والنواقيس، ورجع الأقصى إلى حظيرة الإسلام بعد تسعين عامًا من احتلال الطغيان.

ومثل هذا مرَّ بدولة بني العباس على يد التتار الذين أسقطوا الخلافة عام (٦٥٦هـ)، وأنْهَوا وجودَ العباسيين، إلا أنه بعد سنتين اثنتين قيَّض اللهُ السلطان المظفر قطز الذي نازلهم في عين جالوت (٦٥٨هـ)، فهزمهم شرَّ هزيمة، وقاتلهم بنفسه، حتى عُقِر جواده، واستبسل حتى نصره الله، وهو

يزأر بين جنده قائلًا: وا إسلاماه!

وَعَيْنَ جَالُوتَ هَلْ أَبْصَرْتَ سَاحَتَهَا وَقُطْزُ يَغْرِسُهَا غَارًا وَنِسْرِينَا

لَكِنَّنَا فِي زَمَانِ الْقَحْطِ نَحْصُدُهُ لَمَّا نَسِيْنَاهُ أَشْوَاكًا وَغِسْلِينَا!

وفي العصر الحديث واجهت الأمة في الجزائر وليبيا والمغرب والسودان عبر قادتها العلماء الاستعمارَ الغربيَّ من دوله المختلفة!

فواجه الجزائريون الفرنسيين في حرب تحريرٍ طويلةٍ امتدَّت لنحو مائة وخمسين عامًا، نزفت فيها الدماء، وتقطَّعتِ الأشلاء، وقاوم الشعبُ وقاده العلماءُ، حتى أذن اللهُ بالجلاء على يد عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي.

وفي ليبيا هبَّ عمر المختار ومعه الزوايا السنوسية وأهل برقة وطرابلس وغيرها حتى تصدَّوا للطلَّيان، وانتهى الأمر إلى الجلاء.

وفي المغرب قاد الشيخ المجاهد عبد الكريم الخطَّابي الجهاد ضد الصليبيين.

وفي السودان قامت الثورة المهدية ضد الاحتلال البريطاني، وكل ذلك كان باسم الإسلام العظيم!

وماذا يصنع الاحتلال إذا كان القرآن أقوى من فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وسائر قوى الطغيان؟!

واليوم بعد احتلال فلسطين يواجه الصهاينة أهل فلسطين المرابطين، وجهاد أبناء انتفاضة الحجارة الذين أصبحوا اليوم قيادات المقاومة

الإسلامية التي أسسها الشيخ أحمد ياسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومعهم كتائب المجاهدين من مختلف التيارات.

عاشرًا: المبشرات من دلالة السنن الإلهية على نصر الإسلام وأمته:

لا يغتَرُّ مسلمٌ بما يظهر من ضعفٍ مؤقتٍ أمام قوة مادية لأعداء الإسلام؛ وذلك لأمور منها:

- أن الضعف طارئ، وواقع بسبب مِن تخلُّفِ أهل الإسلام عن شرائع وشعائر الإيمان، ﴿**قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ**﴾ [آل عمران: ١٦٥].

- وأن الأيام دولٌ بين الناس، وأن القوة المادية لا تدوم لأحد، وقد قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١٤٠].

- وأنه لا توجد أمةٌ اليوم تملك رسالةً عالميةً خالدةً محفوظةً من التحريف سوى هذه الأمة الخاتمة الوارثة، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

- وأن المادية الغربية قد آذَنَتْ بأفولٍ بعد انحطاطٍ أخلاقي، وانحيازٍ وتعصبٍ غير موضوعي، وفسادٍ اقتصادي واجتماعي، وكل ذلك ينخر في عود تلك الحضارة المادية!

- وأن كثيرًا من عقلاء الغرب يدركون حقائق تلك المواجهة، ويعبرون عنها، **فقد قال السياسي البريطاني مرماديوك باكتول (١٩٣٦م)**: «إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي

نشروها بها سابقًا، بشرط أن يعودوا إلى أخلاقهم التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالَم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم»(١).

وقال المؤرخ الأمريكي جورج سارتون (١٩٥٦م): «إن المآثر التي قامت بها الشعوب التي تتحدث اللغة العربية- وذلك ما بين القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر- كانت عظيمةً إلى درجة تُذهِل أفهامَنا، وإن شعوب الشرق الأوسط سبق لها أن قادت العالَمَ في مرحلتين طوال ألفي عام على الأقل قبل أيام اليونان، وفي العصور الوسطى لمدة أربعة قرون، وليس ثمة ما يمنع تلك الشعوبَ أن تقود العالَمَ ثانيةً في المستقبل القريب، أو البعيد»(٢).

ويقول السياسي البريطاني روبرت بين (١٩٨٧م): «علينا أن ندرس العربَ، ونسبر أفكارَهم؛ لأنهم حكموا العالم سابقًا، وربما عادوا إلى حكمه مرةً أخرى، والشعلة التي أضاءها محمد ﷺ لا تزال مشتعلة بقوة، وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الشعلة لا تُطفَأ»(٣).

وقال الإيرلندي الشهير جورج برنارد شو (١٩٥٠م): «لقد تنبأتُ بأن دين محمد سيكون مقبولًا في أوروبا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولًا في

---

(١) نقلًا عن كتاب: جند الله، لسعيد حوى (ص٢٢).

(٢) الشرق الأوسط في مؤلفات الأمريكيين، لجورج سارتون، وآخرين (ص٥٥).

(٣) السيف المقدس، لروبرت بين (ص١٧).

أوروبا اليوم»[١].

ويقول الدبلوماسي والكاتب الألماني مراد هوفمان (٢٠٢٠م): «إن الإسلام يحتل القمة فيما يشغل الإعلام العالمي في الربع الأخير من القرن الحالي.

لا يتوقع اليوم أحد أن يختفي الإسلام، ولكن أن يمتد، بل يتفجر، ويضع جنرالات الناتو في حسبانهم أن أكثر المواجهات العسكرية احتمالًا في المستقبل لن تكون بين الشرق والغرب، ولا الشمال والجنوب، فالإسلام هو العدو المتنامي المرتقَب»[٢].

ويقول- أيضًا-: «إني لا أدعو إلى أي تنازل، أو تجاوز قد يمس أساسيات الإسلام في القرآن أو السنة الصحيحة، فليس الهدف تحويل الإسلام ليناسب الحداثة!

ولكن تجديده حسبما ترمي إليه أصولُه ومنهاجُه؛ ليناسب العصر، وحتى يقر بذلك أكثر الغربيين نشوزًا.

الجميل في هذا المسعى: أنه سيخدم السلام في نفس الوقت الذي سيهيئ أعظم الفرص ليصبح الإسلامُ ديانةَ العالم الأولى في القرن ٢١»[٣].

وصدق الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

---

(١) نقلًا عن: الإسلام في الفكر الغربي، لأحمد عبد الوهاب (ص٢٢).

(٢) الإسلام عام ٢٠٠٠، لمراد هوفمان (ص١٧).

(٣) المرجع السابق (ص٢١).

صورٌ من انتصارات الأمة في طوفان الأقصى:

١- إحياء روح الجهاد والاستشهاد وبثه في نفوس الأمة، وبيان أن الحق يُنتَزَع ولا يُستجدَى من القوي الظالم، وأن القلَّة المؤمنة قد تنتصر على الكثرة الكافرة.

٢- إعادة قضية فلسطين إلى رأس أولويات وأول قائمة اهتمامات الأمة، وإحياؤها في النفوس مرة أخرى.

٣- انضباط عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين، والانتصار لأهل الإسلام عقيدةً وشريعةً، وتصحيح كثير من المفاهيم التي نالها التحريف.

٤- الانتصار الإعلامي الكاسح بتحول الرأي العام العالمي ضد دولة الاحتلال وداعميها، في مشارق الأرض ومغاربها!

٥- انكشاف الحقائق حول موقف الأعداء المتألبين على القضية الفلسطينية: (مجلس الأمن، الأمم المتحدة، القوى العظمى).

٦- افتضاح مواقف المنافقين والمأجورين من قضية فلسطين، ومن أهلها المجاهدين.

٧- صناعة قدواتٍ صالحةٍ لشباب الأمة وفتياتها، فمن يرد الآن يستطع!

٨- هجرة مئات الآلاف ومغادرتهم الكيان المحتل، والعودة إلى بلادهم الأصلية.

٩- انتشار الإسلام في الغرب ودخول أعداد كبيرة منهم في الإسلام، وتصحيح وعي الغربيين عن الإسلام وأهله.

١٠- إظهار الفارق الشاسع بين تعامل المسلمين الأخلاقي مع الأسرى، وتعامل الصهاينة المجرمين مع أسرى المسلمين.

صور من الانتصارات الميدانية في طوفان الأقصى:

١- عجز الصهاينة وحلفائهم عن تحقيق أيِّ هدفٍ من أهداف الحرب المعلنة، والمتمثلة في: (تهجير أهل غزة، وافتكاك الأسرى، والقضاء على المجاهدين).

٢- فشل الجيوش النظامية العالمية في هزيمة كتائب المجاهدين في معركة غير متكافئة يُعتبر بذاته نصرًا للكتائب المسلمة.

٣- تدمير وإعطاب أكثر من: (١٥٠٠) دبابة وآلية ما بين حاملة جنود وجرافة يُعتبر هزيمةً كبرى للكيان الغاصب.

٤- اقتحام مقرَّاتٍ للموساد الإسرائيلي، والتحفظ على وثائق ومعلوماتٍ، وأجهزة إلكترونية يُعتبر ضربةً للاستخبارات الإسرائيلية.

٥- ضرب الكيانِ المحتلِّ بأكثر من: (٢٥,٠٠٠) صاروخ يعد نصرًا للمقاومة.

٦- قتل وفقد أكثر من: (٤٠٠٠) من الصهاينة المحتلين، وجرح أكثر من: (١٧,٠٠٠) جندي.

٧- القضاء على الكذبة والخديعة الإعلامية بأن جيش المحتلين هو الجيش الذي لا يُقهَر، فلقد سقطت الهيبة، وثبتت الخيبة، ولن يرقعها

راقع، ولن يدفعها دافع.

٨- ضرب الاقتصاد الصهيوني في مقتل، سواء بالبورصة التي انهارت، أو بانخفاض العملة لديهم وفقدانها لنحو ٣٠٪ من قيمتها، وخسارة الشركات الخاصة لمصالح اقتصادية هائلة بلغت ٧٠٪ من قيمتها السوقية.

٩- فقدان الشعور بالأمان بين السكان في دولة الاحتلال يُعَدُّ أحدَ أهمِّ الانتصارات، مع بيان ضعف هذه الدولة وهشاشتها.

١٠- تفكُّكُ وتحلُّلُ السَّردِيَّة التي يقدمها المحتلون، ومن ثَمَّ فقد استيقظ الجميع على قتل الأطفال والنساء والمدنيين، وانحازت كثير من الشعوب غير المسلمة إلى القضية الفلسطينية.

١١- تحرُّكُ طواقمَ من المحامِين والقانونيين في أنحاء العالم؛ لملاحقة حكومة الاحتلال ووزاراتها بجرائم الحرب التي ارتُكِبَتْ، وصدور حكم إدانة من محكمة العدل الدولية.

١٢- إعلان كولومبيا نيتها لقطع العلاقات السياسية مع الكيان الغاصب، وطرد السفير الإسرائيلي من البرازيل، وإعلان تركيا قطع جميع العلاقات التجارية مع الكيان الغاصب أيضًا، وتنديد كثير من قيادات الدول بممارسات الكيان المحتل.



الفَصْلُ الرَّابِعُ عَشَرَ

خلاصات من دروس طوفان الأقصى

أولًا: تعزيز اليقين بأن الجهاد السني الراشد هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وأن الحق يُنتزَع بالقوة ولا يُستجدَى بالضعف:

قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

ويبدو أن الله تعالى اختصَّ أهل غزة وفلسطين أن يدفعوا ثمن تحرير الأمة في كل أقطارها من التبعية للصليبية العالمية، فوق دفع ثمن التحرر من الصهيونية! وهم قادرون على ذلك لو نصرتهم أمتهم الإسلامية بحق!

ثانيًا: تأكيد عقيدة الولاء بين المؤمنين ونصرة المظلومين والمجاهدين بفلسطين، ووجوب ذلك على كل المسلمين؛ كلٌّ بما يستطيع:

قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠].

ثالثًا: توضيح موقف الكفار بعضهم من بعض، وموقفهم من أهل الإسلام في كل زمان ومكان:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

رابعًا: وجوب البراءة من الكافرين، وترك موالاتهم، والحذر من دعمهم بالقلب أو اللسان فضلًا عن اليد، وأن دعمهم في الحروب التي تكون على أهل الإسلام من أعمال الكفر والنفاق:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

خامسًا: سقوط الأقنعة وانكشاف الزيف والخداع:

فالديمقراطية وقيم العدل والحرية إنما هي بينهم فقط؛ بل لعلها لطائفة منهم، وليس للعالم العربي والإسلامي منها نصيب، وحقوق الإنسان شعار استهلاكي، وترويج سياسي لمبادئ لا وجود لها في تعاملهم مع المسلمين خاصة، ومجلس الأمن إنما هو للتحكُّم في مصائر الشعوب والعالم الثالث بوجهٍ أخصَّ، وأن السياسة المتَّبعة هي الكيل بمكيالين، وهي في حقيقها: الخضوع للأقوى!

ولا شك أن خسارتهم باصطفافهم جميعًا إلى جوار القتلة هي أكبر بكثير مما يظنون.

سادسًا: الأمة في وادٍ، وأنظمتها السياسية في وادٍ آخر، إلا من رحم الله، وقليل ما هم!

وإن تحرير فلسطين بيد شعوب الأمة، لا من خلال أنظمتها أو جيوشها التي باتت مكبَّلة! ولقد انعقدت القمة العربية واحدة تلو الأخرى فما حصدت فلسطين منها سوى الكلام!!

وفي أحلك أوقات الشدة والبلاء في فلسطين كانت عواصم عربية تدعو الشباب للانخراط في فعاليات فارغة، وأنشطة تافهة؛ بل محرمة!

سابعًا: الأمة معطاءة مباركة، والحقُّ فيها باقٍ، والخيرُ وافرٌ، والجهادُ ماضٍ إلى قيام الساعة، والتربية الجهادية تثمر ولا بد، والعبرة بالكيف لا بالكم، وبالحقيقة لا بالظاهر أو الشكل، والقلة المؤمنة منتصرة بإذن الله.

قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة.

ثامنًا: العقيدة الصحيحة متى تحوَّلت إلى سلوك وعمل ضحى أهلها في سبيل الله، وقدَّموا أروع الأمثلة في الرضا بقضاء الله، وكان أشبالُها أسودًا في الوغى بإذن الله.

قال تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقال تعالى:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

تاسعًا: الدعاء سلاح كل مؤمن، ينصر به إخوانه في مشارق الأرض ومغاربها، وهو بذاته عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، ويستمطر بها فضله:

وقد كان سيف الدين قطز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأمر جيشه ألا يقاتل التتار حتى تزول الشمس، وتفيء الظلال، ويصعد الخطباء منبر الجمعة، ويدعو لهم الخطباء والمصلون في صلاتهم[1].

عاشرًا: مبشرات النصر والتمكين لائحة بفضل الله رب العالمين، والفأل بحسن العاقبة للمؤمنين الصابرين، والمجاهدين الصادقين.

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]، والنصر مراحل تُطوى، ومسافات تُقطع، حتى يأتي الخلاص والظفر الكامل بفضل الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].



(١) البداية والنهاية، لابن كثير - ط. إحياء التراث (١٣/ ٢٦٢).

الفَصْلُ الخَامِسُ عَشَرَ

فتاوى علماء الأمة حول نصرة الأقصى وفلسطين

أولًا: فتاوى تاريخية حول القضية الفلسطينية:

اتخاذ اليهود أولياء من أعظم الجرائم

فضيلة الإمام الأكبر ومفتي الديار المصرية الشيخ
عبد المجيد سليم رَحِمَهُ اللهُ
شيخ الأزهر الشريف
ومفتي الديار المصرية

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي [1]:

لقد شاع واستفاض بين الناس عامتِهم وخاصتِهم خبر غزو اليهود الصهيونيين للبلاد المقدسة فلسطين، التي تضم أُولى القبلتين وثالث الحرمين وغير ذلك من المقدسات الأخرى، وعزمهم المصمم على تحويلها إلى مملكة يهودية، والاستيلاء على أراضيها ومقدساتها وإخراج أهلها العرب منها.

وأعظم وسيلة يتذرع بها اليهود لبلوغ مآربهم: شراء الأرض من العرب وإخراجها من حيازتهم، وجعلها مِلكًا للأمة اليهودية، والاستيلاء على اقتصادياتها؛ بقصد إفقار أهلها المؤدي إلى نزوحهم عنها.

المرجو بيان الحكم الشرعي في كل شخص يبيع أرضه لليهود، أو

---

(١) مجلة الفتح، العدد، (٨٤٦)، العام السابع عشر، (ص ١٠).

يعمل سمسارًا لترويج ذلك البيع، أو يعينهم على الوصول إلى مآربهم من امتلاك البلاد وجعلها يهودية بأي نوع من أنواع الإعانة والتعاون، فهل يرتد بذلك عن دينه، ويعامل معاملة المرتدين، من الحكم بطلاق زوجته، واحتقاره ونبذه، وعدم الصلاة عليه، وعدم دفنه في مقابر المسلمين؟ مع العلم بأن بيع الأرض لليهود، ومساعدتهم تجاريًّا واقتصاديًّا وشراء بضائعهم ومنتوجاتهم، كل ذلك قد أصبح معلومًا لدى أهل فلسطين خاصة، والمسلمين عامة بأنه أهم الوسائل المؤدية إلى وصول اليهود لمطامعهم المذكورة .

فأجابت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر -وكان رئيسها يومئذٍ فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم- بما يلي:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فتفيد اللجنة بأن مِن أعظم الجرائم إثمًا وأشد المنكرات مقتًا عند الله أن يتخذ المسلم له أولياء من أعداء دينه المناوئين له المعتدين على أهله، أو يمكن لهم بفعله من إيذاء المسلمين في دينهم، والاحتيال على سلب أموالهم، وتجريدهم من أرضهم وديارهم، واتخاذ ذلك وسيلة إلى إضعاف أمرهم، وكسر شوكتهم وإزالة دولتهم، وإقامة دولة غير إسلامية تتسلط عليهم بالحيلة أو العهد، وتنشر سلطانها عليهم بالأمر والنهي.

وقد شدد الله النكير على من يتولون أعداء الدين أو يتخذون لهم بطانة من غير المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ﴾ [الممتحنة: ١-٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ولم يكتفِ القرآن بالنهي عن موالاة المعتدين من غير المؤمنين، وتحريم موادتهم، بل جعل ذلك منافيًا للإيمان، ونفى صاحبه من سجل أهل الإسلام، اقرأ قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ولا شك أن من يعملون على إيذاء المسلمين في دينهم، ويتخذون مختلف الوسائل للتسلط عليهم بالقوة أو الحيلة بإغراء الضعفاء بالمال

وغيره من عرض الدنيا، وتجريدهم من أرضهم ودورهم؛ توصلًا إلى إذلالهم وإخضاعهم لسلطانٍ غير سلطان دينهم هم من شرٍّ من يحادُّون الله ورسوله؛ كما لا شك أن بذل المعونة لهؤلاء، وتيسير الوسائل التي تساعدهم على تحقيق غايتهم التي فيها إذلال المسلمين، وتبديد شملهم ومحو دولتهم، أعظم إثمًا وأكبر ضررًا من مجرد موالاتهم وموادتهم التي حكم الله بمنافاتها لخالص الإيمان.

فالرجل الذي يحسب نفسه من جماعة المسلمين إذا أعان أعداءهم في شيء من هذه الآثام المنكرة وساعد عليها -مباشرة أو بواسطة- لا يُعد من أهل الإيمان، ولا ينتظم في سلكهم؛ بل هو -بصنيعه- حرب عليهم، منخلع من دينهم، وهو -بفعله الآثم- أشد عداوة من المتظاهرين بالعداوة للإسلام والمسلمين.

فعلى المسلمين أن يتبينوا أمرهم، ويأخذوا حذرهم، ويثوبوا إلى رشدهم، فيصلحوا من شأنهم، ويتبعوا هدي القرآن في حفظ كيانهم، وتقوية دولتهم، وأن تكون شئون دينهم وأوطانهم أحب إليهم من كل شيء، حتى لا يدخلوا في أهل الوعيد الشديد الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤].

عليهم أن يقتفوا في ذلك سيرة نبيهم، ويسيروا على ما رسم لهم من خطط صالحة، فيوالوا المؤمنين، ويبروا المسالمين من غير المسلمين، ويعادوا من عادى الله أو مكر بأهل دينه وسعى في إيذائهم والتضييق عليهم في أوطانهم، وعمل على تفريق وحدتهم وتمزيق جماعتهم.

وعلى المسلمين أن يعادوا هؤلاء وينبذوهم ويقاطعوهم في متاجرهم ومصانعهم ومساكنهم ومجتمعاتهم، وأن يصنعوا هذا الصنيع مع كل من يوالي هؤلاء الأعداء أو يعينهم على مآربهم ويمهد لهم السبيل التي يصلون منها إلى أغراضهم.

وقد قاطع رسول الله ﷺ والمؤمنون نفرًا من الصحابة تخلفوا عن غزوة تبوك ونبذوهم، فكانوا لا يخالطونهم في اجتماعٍ ولا يشاركونهم في شأن، تجنبوا مؤاكلتهم، ومجالسهم، والسير معهم، والسلام عليهم[1].

إن هؤلاء المتخلفين لم يعينوا على المسلمين عدوًّا، ولم يمهدوا لأعداء الدين طريق الكيد والمكر لأهل الدين، ولم يبيعوهم ما يتقوون به عليهم ويشتد به سلطانهم، ولم يأتوا بأي عمل إيجابي يُعدُّ معاونة للأعداء، ثمَّ إنهم كانوا قلة ضئيلة لم يستوجب تخلفهم خذلان جيش المسلمين أو انتقاض أمره، وكل ما كان منهم أن تخلفوا عن الغزو مع قدرتهم عليه، ومع ذلك نبذهم النبي ﷺ وأصحابه، وقاطعوهم مقاطعة مكثوا خمسين يومًا

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يتحرقون بآلامها وتتلظى قلوبهم بالندم والحسرة من أجلها، حتى ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨].

هذا شأن الله فيمن لم يكن منه إلا مجرد التخلُّف عن جهاد لم يُغِر الأعداء فيه بالفعل على بلاد المسلمين، فما بالنا بمن يتصدى لمعاونة الأعداء، ويمكنهم من تثبيت أقدامهم في بلاد الإسلام والمسلمين؟!

لا يشك مسلم في أن من عاون هؤلاء الأعداء بأي ضرب من ضروب المعاونة ببيع شيء من أرضه، أو التوسط في هذا البيع أو بمعاملتهم تجاريًّا واقتصاديًّا، أو بخروجه عن جماعة المدافعين عن بلادهم، يكون أعظم جرمًا، وأكبر إثمًا ممن ترك الجهاد وهو قادر عليه، ولا يشك مسلم أيضًا أن من يفعل شيئًا من ذلك فليس من الله ولا رسوله ولا المسلمين في شيء، والإسلام والمسلمون براء منه، وهو بفعله قد دلَّ على أن قلبه لم يمسه من الإيمان، ولا محبة الأوطان، **والذي يستبيح شيئًا من هذا بعد أن استبان له حكم الله فيه يكون مرتدًّا عن دين الإسلام، فيفرَّق بينه وبين زوجه، ويحرم عليه الاتصال بها، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.**

وعلى المسلمين أن يقاطعوه؛ فلا يسلموا عليه، ولا يعودوه إذا مرض، ولا يشيعوا جنازته إذا مات، حتى يفيء إلى أمر الله ويتوب توبة يظهر أثرها في نفسه وأحواله وأقواله وأفعاله.

هذا وإذا كان من بين المسلمين أو إخوانهم المواطنين لهم من هو يحتاج إلى بيع شيء من أرضه وجب على جماعة المسلمين أن يدفعوا حاجته بشراء ذلك منه، أو بمساعدته بما يغنيه عن البيع، كما يجب عليهم أن يبذلوا جهودهم، ويتعاونوا بكل قواهم، على دفع خطر هؤلاء الأعداء الظالمين، والله أعلم».

رئيس لجنة الفتوى

عبد المجيد سليم

١٤ شعبان سنة ١٣٦٦هـ

٢ يوليو ١٩٤٧ م

نداء وبيان عن القدس من الأزهر الشريف إلى الأمة الإسلامية

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق رَحِمَهُ اللهُ
شيخ الأزهر الشريف
ومفتي الديار المصرية

قال رَحِمَهُ اللَّهُ [(1)]: «قال الله سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الإسراء: ١].

هذه فلسطين التي اغتصبتها الصهيونية، وطردت أهلها العرب المسلمين والمسيحيين.

هذه القدس التي شرفت بإسراء الرَّسول محمد ﷺ إليها مصلِّيًا في مسجدها إمامًا لرسل الله وأنبيائه، ثم كان معراجه منها إلى حيث كرمه الله، فأراه من آياته الكبرى.

هذه مأساة المسجد الأقصى ومسجد القبة المشرفة..

إنها قضية كل مسلم على وجه الأرض، وليست قضية العرب وحدهم،

---

(١) مجلة الأزهر، الجزء السابع، السنة الثامنة والستون، بتاريخ: رجب ١٤١٦هـ، الموافق: نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٥م.

وإن كان عليهم عبئُها.

إن العمل من أجل حماية القدس ومسجدها الأقصى وكل آثارها الإسلامية وأهلها-فريضة قطعية على كافة الدول والشعوب الإسلامية.

إن مسجدها ثالث الحرمين الشريفين، تُشد إليه الرحال؛ فأين نحن -المسلمين- مما يجري في القدس؟

أين نحن -المسلمين- مما يراد بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة والآثار الإسلامية والاعتداء المستمر على هذا الحرم؟

أين نحن من هؤلاء البغاة الطغاة الذين استمرأوا صمت المسلمين وقعودهم عن حماية مقدساتهم؟

ألم يأنِ لنا أن نجمع الشمل، ونُجمع على أمرٍ ننقذ به أرضنا، ونحمي به عرضنا؟!

نعم.. آن الأوان لتجميع الصفوف وتوحيد الكلمة، وجمع شمل الأمة الإسلامية، آن الأوان لأن نعرف العدو من الصديق، وأن نتصادق ونتآخى بدلًا من الصراع والخلاف، وأن نتصافى ونتعاضد بدلًا من التباغض والتباعد والاختلاف، آن الأوان لنراجع المواقف التي أدتْ بنا إلى الخسران وأوقعتنا في المهالك، آن الأوان لننظر إلى حراس المسجد الأقصى، وما يقاسونه في سبيل الدفاع عنه بأجسادهم، فقد جُردوا من كل سلاح، مع أن عدوهم قد تزود بكل الأسلحة المهلِكة، وأخسها: الغدر والخيانة.

أين المساعدات لهؤلاء الحراس حتى يقيموا البنيان ويصدوا العدوان؟

ألا نحمي ذمارنا، ألا ندافع عن حوزتنا وإخوتنا الذين قال قائلهم: إن وطنهم الآن حقائبهم؟!

ألا ننهض معهم حتى يستردوا قدسهم وأرضهم؟

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف١١-١٣]

أيها المسلمون:

إنكم أهل نجدة وشهامة وأهل عزة وكرامة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]. فاستعينوا بالله وأجمعوا أمركم ورأيكم ولا تختلفوا.. فقد جرَّت الخلافات على الأمة الإسلامية في ماضيها المآسي التي ضلعت بسببها الأوطان، وتمزق الكيان، ونجح الأعداء في تفريق الصفوف، وإذكاء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

تحاوروا وتشاوروا.. فإن رسول الله ﷺ وهو المؤيَّد من ربه شاور أصحابه، ونزل على رأيهم في كثير من الواقعات نزولًا على حكم الله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

«**واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[(١)]، و«**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَد، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»[(٢)].

أليس هذا من وصايا رسول الله ﷺ؟

فما بالنا نتصايح بالشرور وعظائم الأمور فيما بيننا ولا نتنادى إلى الدفاع عن قدسنا ومقدساتنا ووحدتنا؟!

ثم ما بالنا نصمت وأجزاء من جسد المسلمين تُبتر، وأرضهم تسلب، ومقدساتهم تُنتهك؟!

ما بال المسلمين لم يفيقوا لما يُراد بهم؟!

استمعوا لنداء الله في كتابه:

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق

---

(١) كما قال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كما قال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان رضي الله عنه.

المجاهدون في فلسطين من خواصِّ الأمة الإسلامية

فضيلة الإمام العلامة
عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ
مفتي عام المملكة
العربية السعودية

سئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: ما تقول الشريعة الإسلامية في جهاد الفلسطينيين الحالي، هل هو جهاد في سبيل الله، أم جهاد في سبيل الأرض والحرية؟ وهل يعتبر الجهاد من أجل تخليص الأرض جهادًا في سبيل الله؟

فأجاب: لقد ثبت لدينا بشهادة العدول الثقات أن الانتفاضة الفلسطينية والقائمين بها من خواص المسلمين هناك وأن جهادهم إسلامي؛ لأنهم مظلومون من اليهود؛ ولأن الواجب عليهم الدفاع عن دينهم وأنفسهم وأهليهم وأولادهم وإخراج عدوهم من أرضهم بكل ما استطاعوا من قوة.

وقد أخبرنا الثقات الذين خالطوهم في جهادهم وشاركوهم في ذلك عن حماسهم الإسلامي وحرصهم على تطبيق الشريعة الإسلامية فيما بينهم، فالواجب على الدول الإسلامية وعلى بقية المسلمين تأييدهم ودعمهم ليتخلصوا من عدوهم وليرجعوا إلى بلادهم؛ عملًا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٢٩٥).

ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقوله سبحانه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١] الآيات، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ**»(١).

ولأنهم مظلومون، فالواجب على إخوانهم المسلمين نصرهم على من ظلمهم؛ لقول النبي ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ**»(٢) متفق على صحته، وقوله ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**. قالوا: يا رسول الله نصرته مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: **تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٢٤٦)، وأبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٥٢)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والأحاديث في وجوب الجهاد في سبيل الله ونصر المظلوم وردع الظالم كثيرة جدًّا.

فنسأل الله أن ينصر إخواننا المجاهدين في سبيل الله، في فلسطين وفي غيرها على عدوهم، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يوفق المسلمين جميعًا لمساعدتهم والوقوف في صفهم ضد عدوهم، وأن يخذل أعداء الإسلام أينما كانوا، وينزل بهم بأسه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين، إنه سميع قريب.

نشر في مجلة

(البحوث الإسلامية)

العدد (٢٨) عام ١٤١٠ هـ

ثانيًا: فتاوى حول معركة طوفان الأقصى

بيانات من الأزهر الشريف حول أحداث طوفان الأقصى وما تلاها

نداء من الأزهر الشريف إلى الأمة العربية والإسلامية[(١)]:

على الأمة العربية والإسلامية أن تعيد النظر جذريًّا في الاعتماد على الغرب الأوروبي الأمريكي المتغطرس، وعلى الفلسطينيين أن يثقوا في أنَّ الغرب بكل ما يملك من طاقاتٍ عسكريةٍ وآلاتٍ تدميريةٍ ضعيف وخائف حين يلقاكم أو تلقونه، فهو يقاتلُ على أرضٍ غير أرضه، ويدافع عن عقائد وأيديولوجيات بالية عفا عليها الزمن، وأصبحت من المضحكات المبكيات، وعليكم أن تواجهوه معتصمين بالله ورسوله محمد ﷺ، وبصمودكم في وجه هجماتِه الوحشية البربريَّة، وما مقدار الغرب في ميزان الصومال وأفغانستان منكم ببعيدٍ!

وعلى الأمة الإسلامية أن تستثمر ما حباها الله به من قوة وأموال وثروات وما تملكه من عُدةٍ وعتادٍ، وأن تقف به خلف فلسطين وشعبها المظلوم الذي يواجه عدوًّا فقد الضَّمير والشعور والإحساس، وأدار ظهرَه للإنسانيَّة والأخلاق وكل تعاليم الرسل والأنبياء، وعليكم أن تستجيبوا لقوله تعالى:

---

(١) صدر هذا البيان بتاريخ ١٨/ ١٠/ ٢٠٢٣م، على موقع بوابة الأزهر الإلكترونية على الرابط التالي:

https://www.azhar.eg/ArticleDetails/ArtMID/10108/ArticleID/75710

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وإن شئتم معرفة طبيعة عدوِّكم على حقيقتِه فتأمَّلوا جيدًا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. رحم الله شهداءنا الأبرار، وجزى وحوش الأدغال بما هي أهلٌ له.

بيان من الأزهر الشريف بشأن الأحداث في غزة [(١)]:

تحية طيبة من عند الله مباركة للمقاومة الفلسطينية، وأهل غزة الأبرياء رمز العزة والصمود، وأطفالها ونسائها الصابرات، تحية طيبة لكم وأنتم تواجهون بأجسادكم الناحلة، وصدوركم العارية هذه النيران، يرسلها عليكم جيش إرهابي انتزع الله الرحمة من قلبه، وتجرد من كل معاني الأخلاق والإنسانية، واستباح شتى الجرائم الوحشية؛ من قصف للمستشفيات، وتدمير المساجد والكنائس، وقتل الأطفال والنساء ومراسلي الصحف والمواطنين الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة.

تحية لكم أيها الأبطال وأنتم تواجهون بإيمانكم البوارج وحاملات الطائرات وقاذفات الصواريخ، وتتصدون لها من منصة الإيمان بالله غير خائفين ولا متذللين.

---

(١) صدر هذا البيان بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ٢٠٢٣م، على موقع بوابة الأزهر الإلكترونية على الرابط التالي:

https://www.azhar.eg/ArticleDetails/ArtMID/10108/ArticleID/76960/

أيها الأبطال: استمدوا قوتكم من قرآنكم الكريم، واستعينوا بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

هذا، ويسجل الأزهر وبكل اعتزاز وتقدير بالغ الموقف الرجولي الشجاع والشهم الذي وقفه السيد أنطونيو غوتيريش، الأمين العام للأمم المتحدة، وهو يدعو- غير خائف ولا مجامل- إلى ضرورة وقف العدوان على الضعفاء والمستضعفين في غزة، تحية لك أيها الرجل الشجاع وأنت تصدح بكلمة الحق والعدل.

ويشجِّع الأزهر موقف كل أحرار العالم الذين لم يلتزموا الصمت، وخرجوا لإدانة هذه المجازر الوحشية التي تُرتكب في غزة، وطالبوا بوقف العدوان الصهيوني ووضعِ حَدٍّ لقتل الأطفال والأبرياء، ويُهيب الأزهر بحكومات الدول العربية والإسلامية بأن يسارعوا لمد يد العون لإخوانهم في فلسطين، وأن يُسخِّروا إمكاناتهم وثرواتهم ومصادر قوتهم؛ لنصرتهم ودعمهم وكف بطش هذا الكيان المغتصب عنهم.

الأزهر يدين مجزرة النابُلسي في غزة واستهداف النازحين، ويؤكد: جبن ونذالة غير مسبوقة[(١)]:

يُدين الأزهر الشريف بأشد العبارات، المجزرة الجديدة التي ارتكبها

(١) صدر هذا البيان بتاريخ ٢٩/ ٢/ ٢٠٢٤، على موقع بوابة الأزهر الإلكترونية، على الرابط التالي:

https://www.azhar.eg/ArticleDetails/ArtMID/10108/ArticleID/80579/

الكيان الصهيوني المجرم في حق النازحين الفلسطينيين في منطقة دوار النابلسي قرب شارع الرشيد بغزة، أثناء انتظارهم لقوافل المساعدات الإنسانية، التي أسفرت عن استشهاد عشرات النازحين، وسقوط مئات المصابين، لتختلط دماؤهم البريئة بالطعام والشراب.

في مشهد يبرهن على ضعف المجتمع الدولي، وعجزه أمام تجرد كل منسوبي جيش هذا الكيان المحتل من كل معاني الرحمة والإنسانية، وتشبعهم بالوحشية، وتلذذهم بحصد أرواح الفلسطينيين الأبرياء.

ويؤكد الأزهر أن استهداف النازحين المتعطشين للطعام والشراب بعد تلك المجاعات التي فرضها هذا الكيان المجرم، هو وصمة عار على جبين الإنسانية الصامتة تجاه ما يحدث في غزة، وجبن ونذالة غير مسبوقة في تاريخ التعامل مع النازحين، وجرائم حرب جديدة تضاف إلى السجل الأسود للصهاينة ومذابحهم الوحشية التي تعف عنها حتى الحيوانات في الأدغال.

ويطالب الأزهر العالم أجمع بأن يفيق من غيبوبته غير المسبوقة في تاريخ الإنسانية، وأن يهب لوقف هذا الحصار غير الإنساني، وأن يجبر هذا الكيان على التراجع، وعلى وقف مذابحه في حق الأبرياء، وأن يسارع المسؤولون بتسيير قوافل الإغاثة إلى غزة بشكل عاجل وبكافة الوسائل الممكنة والمتاحة، وأن يضح حلًّا عاجلًا وجذريًّا لهذا العدوان المجرم الذي استهدف كل أشكال الحياة في قطاع غزة.

خطاب شيخ الأزهر بمناسبة الاحتفال بليلة القدر ١٤٤٥هـ[١]:

الحَفل الكـريم!

لَعَلَّ الأحداثَ القاسية التي نعيشُها صباحَ مساءَ، تُثبت -دون أدنى ريب- أنَّ الإنسانيَّة لم تكُن في عصرٍ من عصورِها بحاجةٍ إلى هَدْي القُرآن الكريم، وهَدْي أمثاله من الكُتُبِ المنزَّلة بمِثل ما هي عليه اليوم، فقد أصبح واضِحًا أنَّ عالمنا المعاصر فَقَدَ القيادةَ الرَّشيدة الحكيمة، وراح يَخبِطُ خبطَ عشواء، بلا عقلٍ ولا حِكْمَة ولا قانون دولي، وباتَ يَندفعُ -بلا كوابحَ- نحوَ هاويةٍ لا يَعرِف التَّاريخ لها مَثيلًا من قَبلُ.

وأنَّنا بعدَ عُقودٍ من علاقاتِ الحوار الحضاريِّ بين الأُمَم والشُّعُوب، استبدلنا بها -وعلى نحوٍ مُتسارعٍ غريب- علاقاتِ الصِّدام والصِّراع، وسرعان ما تحوَّل هذا الوضع البائس إلى علاقاتِ حروبٍ جائرةٍ وظالمة، ثم ما لبثت هذه الحروب أنِ اتَّخذت صورة بالغة الغرابة والشُّذوذ في تاريخ الحروب.

أبطالُ هذه الصورة قادَةٌ سياسيُّون وعسكريُّون، مِن ذوي القُلُوب الغليظة التي نزع اللهُ الرَّحمة من جميع أقطارها، يقودونَ فيها جيشًا مُدجَّجًا بأحدثِ ما تقذفُ به مصانعُ أوروبا وأمريكا من أسلحةِ القتل والدَّمار الشَّامل،

---

(١) ألقي هذا الخطاب بمركز المَنارة للمُؤتَمرات، بالقاهرة الجَديدة، في ٢٧ رمضان سنة ١٤٤٥هـ، الموافق: ٦ / ٤/ ٢٠٢٤ م.

ويُواجِهونَ به شعبًا مَدنيًّا أعزل، لا عهدَ له بقتالٍ، ولا بسَفْكِ دماءٍ بريئة، ولا بمرأى جُثَثِ الأطفال والنِّساء والرِّجال والمرضى، وهي مُلقاةٌ على قَوارعِ الطُّرقات أو مُغيَّبَةٌ تحتَ أنقاضٍ مَبانٍ مهدَّمة في الأزقَّةِ والحواري.

وكلُّ ما يعرفه شعب غزَّة البريء البسيط، هو أنَّ أقدارَه شاءت أنْ يَلْقَى رَبَّه شهيدًا، وشاهدًا على جرائمِ الإبادة والمحرقة الجماعيَّة، مِن طغاةِ القرنِ الواحد والعشرين بعد الميلاد، والذي بشَّرونا بأنه: قرنُ العلم والتقدُّم والرُّقي، وقرنُ الأخلاقِ الإنسانية والحريَّة والديموقراطيَّة وحقوق الإنسان، وغير ذلك من الأكاذيبِ والأباطيل التي انطلَتْ على كثيرين مِنَّا، وحسِبوها حقائقَ ثابتةً مِن حقائق الأذهان والأعيان؛ فإذا هي اليوم، وكما يقولُ القرآنُ الكريم: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٣٩].

وثالثةُ الأثافي: أنَّ المؤسَّساتِ الدوليَّةَ والمواثيقَ العالميَّةَ، وفي مُقدِّمتِها: مؤسَّسةُ الأُمم المتَّحِدَة، والإعلانُ العالمي لحقوقِ الإنسان، وغيرُهما من المنَظَّمات التي تتعهَّد موادها الأولى بحفظ السَّلام والأمن الدوليِّين، ومبدأ المساواة بين الدول الأعضاء، وتحريم استخدام القُوَّة، بل تحريم مُجرَّدِ التَّهديد بها في العلاقاتِ الدوليَّة، والامتناعِ التَّام عن التَّدخُّل في الشؤون الداخليَّة للدول- هذه المؤسَّساتُ تَقِفُ اليوم عاجِزةً، بل مشلولةً شللًا رباعيًّا أقعدَها عن تنفيذِ بندٍ واحدٍ مِمَّا تتعهَّد بتنفيذِه، ولطالما غُلِبَتْ

على أمرِها، وعلى إرادتِها وقَراراتِها التي تَحْظَى بأغلبيَّةٍ ساحِقةٍ مِن الدولِ الأعضاء، بعدما تُجهضها تدخُّلاتٌ سافرةٌ من قُوًى مُستَبِدَّةٍ، مُدرَّبةٍ على كتمانِ الحقِّ حينًا، وإلباسِه ثوبَ الباطل حينًا آخَر، والغَطرسَةِ والجفوةِ والعجرفةِ أحيانًا كثيرة.

والأَدْهَى من ذلك والأشدُّ مرارةً أن تدخل القُوى الكُبرى شريكًا داعمًا بمالِها الوفير وأسلحتِها الفَتَّاكة لقُوَّةٍ غاشِمَةٍ، وهي تَعْلَمُ علمَ اليَقين أنَّها ستَسحَقُ به الضُّعفاء والمستَضْعَفِين من الرِّجالِ والنِّساءِ والأطفال والمرضى، وتُجيعهم، وتُحيطهم بضغوطٍ لا قبلَ لهم بها، حتى إذا ما خرجوا من ديارِهم وأموالهم، وهاموا على وجوهِهم في الطُّرقات- صَبُّوا فوق رؤوسهم من عذاب الجحيم ما سيكتبه التاريخ بالدَّمِ وبالدمع في أسود صفحاته وأحلكها ظلمًا وظلامًا.

الحفل الكــريم!

إنَّ حالة التَّنازُع والتَّفرُّق التي درجَ عليها أبناءُ أُمَّتنا العربيَّة منذُ أمدٍ بعيد، قد أصابَتْ الجميع بما يُشْبِه حالةَ «فُقدانِ التَّوازن» وهو يَتصدَّى لعظائم الأُمور، وأَعجَزته عن مُواجَهةِ أزماته المتلاحقة مُواجَهةً دقيقةً، ومَن يُدقِّقِ النَّظَرَ في خارطة وطَنِنا العربي والإسلامي؛ يَأسَى كثيرًا وطويلًا، لما آلَ إليه الحالُ في فلسطينَ، وغيرِها من دولٍ عزيزةٍ على قلوبِنا، وسرعانَ ما يخلصُ إلى يقينٍ لا يقبل النقيضَ، هو: أنَّنا لن نستعيدَ قُدرتَنا على النُّهوضِ والتقدُّم

ومُواجَهة أزماتنا مواجهةً مسؤولةً، وتجاوزها إلَّا بتحقيقِ وَحْدةِ العرب، وتطبيقِ سياسة التكامُل الاقتصادي، وتغليبِ المصالح العامَّة، والاتِّفاقِ على رُؤًى مُستقبليَّة، وخططٍ مُشتركةٍ مدروسة وقابلةٍ للتنفيذ.

ويَنبَغي أنْ نتنبَّه إلى أنَّ تعامُلَنا مع قضية فلسطين والقُدْس الشَّريف لا يَعكِس حجمَ ما أَنعمَ اللهُ به علينا من ثَرواتٍ بَشريَّةٍ وطبيعيةٍ هائلةٍ، ومِن طاقاتٍ جَبَّارة لا تَنفَذ، ومن عقولٍ خلَّاقة في كلِّ ميادين الحياة المعاصرة: العِلميَّةِ والاجتماعيَّةِ والسِّياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ، وقبل كل ذلك: مِن إيمانٍ راسخٍ باللهِ تعالى وثقةٍ لا تهتزُّ في رحمتِه بالضُّعفاءِ والمستَضعَفِين.. وأنَّه بالمرصاد للجبَّارينَ والمتكبِّرين، وأنَّه ليس بغافلٍ عنهم، وأنَّه يُمهلهم ويُمِدُّ لهم حتى إذا ما أخذهم فإنه لا يُفلتهم.

ويَقيني -أيُّها السَّادةُ الأفاضل!- إنَّ ما تَعجُّ به مَنطقتُنا اليوم من مآسٍ وآلام وأحزانٍ ومشاعر سوداء- يجب أنْ يُمثِّلَ نُقطةَ تحوُّلٍ حاسم بين عهدٍ عربيٍّ مَضى، وعهدٍ جديد تأخذ فيه الأُمَّةُ العربيَّة والإسلاميَّة بأسباب القُوَّة والمنعة المدعومة بالإيمانِ باللهِ تعالى، وبقِيَم الإسلام والأديان الإلهيَّة؛ وذلك كيما تستحقَّ مكانتَها اللائقة بتاريخِها وحضارتِها.

ولا أسأَمُ من تكرار ما سمعتموه كثيرًا، مِن أنَّ الخُطوة الأولى الصحيحة على هذا الطَّريق هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ومعنى: ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾

أي: «تَجْبُنوا»، ومعنى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: «تخورَ قُواكم، وتَذْهبَ دُولكم، وتَبيدَ حضاراتكم».

وأختمُ برجاءٍ، أتوجَّهُ به إلى سادتِنا عُلماءِ الأُمَّة، هو: أنْ يَنْهَضُوا -في غير إبطاءٍ- لتحقيق وحدةٍ عُلَمائيَّة تجمعُ رموز الإسلام من سُنَّةٍ وشيعةٍ وإباضيَّة وغيرهم مِمَّن هُم مِن أهلِ القِبْلَة، يجتمعونَ بقلوبِهم ومَشاعرهم -بلَ عقولِهم وعلومهم- على مائدةٍ واحدةٍ؛ لوضعِ حدودٍ فاصلةٍ بين ما يجبُ الاتِّفاق عليه وما يصحُّ الاختلاف فيه، وأنْ نقتديَ في اختلافاتِنا باختلافِ الصَّحابة والتَّابعينَ، ذلكم الاختلافُ الذي أَثْرى العلومَ الإسلاميَّة، وحوَّلها إلى معينٍ لا ينضب من اليسر واللطف والرحمة، وأن نُوصدَ البابَ في وجهِ اختلافاتنا المعاصرة، التي أورثَتْنا الكثيرَ من الشِّقاقِ والنِّزاعِ والضَّغائن والأحقاد، وقدَّمَتْنا لُقمةً سائغة للأعداءِ والمتربِّصين.

وإنِّي لعَلَى ثقةٍ مِن أنَّ اتِّفاقَ عُلماء الأُمَّة سوف يُثْمِرُ بالضَّرورةِ اتِّفاقَ قادتها، وسوف يدفعُهم إلى تحقيقِ المصالح القُطْرِيَّة في إطارِ المصلحة العربيَّة والإسلاميَّة، وهُم قادرون على ذلك بفضلِ الله تعالى وعَوْنِه.

بيان رابطة علماء المسلمين

بشأن استمرار الحرب الظالمة على غزة[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فكأن العدو الصهيوني الآثم وحلفاءه المشاركين له لم يكتفوا بآلاف الشهداء من الأطفال والنساء والمدنيين العزَّل الذين قضوا في أكبر جريمة إبادة في العصر الحديث، في حق شعب أعزل على مرأى ومسمع من العالم أجمع، بل بمشاركة ومباركة من دوله العظمى!!

كأنه لم يكتف بذلك ليستأنف عدوانه بإجرام أشد مع صمت مخزٍ من الدول العربية والإسلامية؛ ليواصل حربه الظالمة لإبادة واستئصال لأهل فلسطين، وإزاءَ هذا الحدث الجلل والخطب العظيم؛ فإنّ علماء المسلمين يدعون الأمَّة الإسلامية أن تقوم بما أوجبه الله على أهل الإسلام من نصرة إخوانهم المستضعفين في غزة خاصة وفلسطين عامة، قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وإذْ تتولى الرابطة الإعلان عن ذلك تؤكد على ما يلي:

---

(١) صدر هذا البيان بتاريخ ٧/ ١٢ / ٢٠٢٣م، على موقع الرابطة، على الرابط التالي: https://muslimsc.net/activity/بشأن استمرار الحرب الظالمة على غزة.

أولًا: إنَّ هذه الحرب التي يشنَّها الكيان الصهيوني وحلفاؤه على غزة هي جريمة إبادة لشعب كامل أعزل، وهي حرب دينية-كما أعلن أربابها ومتولو كبرها- وهي امتداد للحروب الصليبية التي لم تتوقف يومًا وإن تعددت صورها وأشكالها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

وإن دخول الغرب في هذه المعركة بشكل مباشر كما تفعل أمريكا بتدخلها المباشر في الحرب، ومدَّها الكيان الصهيوني بأسلحة فتاكة بما يساعدها على إبادة الشعب الفلسطيني، وأخيرًا ما قامت به بريطانيا بإرسال طائراتها في سماء المعركة؛ فإن كل ذلك سيحولها إلى حرب أممية لا تبقي ولا تذر!

ثانيًا: إن عملية طوفان الأقصى وغيرَها من صور المقاومة للكيان الصهيوني هي جهادُ دفع، وإن قيامَ المسلمين بنصرة أهل غزة ونجدتهم هو جهادُ دفع أيضًا، وجهاد الدفع واجب عيني، يلزم استمراره حتى إماطة العدوان عن ديار الإسلام، فإن لم يكف أهل البلد لرد العدوان امتد الوجوب إلى من جاورهم حتى يعم الأمة كلها، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠].

وإذا كان أهل الكفر والباطل يتداعون لنصرة هذا الكيان الصهيوني

المعتدي الأثيم بكل سبيل، ويعلنون ذلك صراحة ويتفاخرون به بلا خجل أو حياء؛ فأولى بأهل الإسلام من الحكام والشعوب المسلمة أن يبادروا بما أوجب الله عليهم من دفع هؤلاء المعتدين ونصرة إخوانهم المستضعفين المظلومين، وعلى الدول العربية والإسلامية تفعيل قرارات مؤتمرها الذي انعقد في الرياض في السعي الحثيث لإيقاف العدوان الصهيوني الأثيم بكل سبيل، وفي إيصال المساعدات الإنسانية إليهم، وألا تبقى هذه القرارات مجرد حبر على ورق!

وتحذر الرابطة من عاقبة هذا الصمت العربي والإسلامي؛ فإنه سيدفع الشعوب لتجاوز الدول بشكل أو بآخر، وعندها ستكون العواقب غير محكومة ولا محمودة!

ثالثًا: وما ينطبق على أهل غزة من الأحكام السابق ذكرها ينطبق على غيرهم من أهل الثغور، كالشعب السوري المسلم، الذين يحارَبون في نفس التوقيت من نظام الأسد وأنصاره الروس المجرمين وصفوية إيران الأكثر إجرامًا؛ لأنَّ قضايا أمتنا قضيةٌ واحدة، وحربها واحدة وسلمها واحدة، ولأنَّ عدوها مشروعٌ إجراميٌّ واحد، لا فرق فيه بين صهيونية وصليبية وصفوية، فجميعها وجوه لمشروع واحد هو هدم الإسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ

﴿فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

رابعًا: على الأنظمة التي تحكم بلاد المسلمين أن تُثْبِتَ للشعوب المسلمة أنها سالمة من الموالاة لأعداء الله وبارئة من تهمة المظاهرة للكافرين على المسلمين، وذلك بأن تقوم هذه الأنظمة بالحدِّ الأدنى من الموالاة للمسلمين والمعاداة للكافرين، والذي لا يتحقق على المستوى السياسي إلا بطرد سفراء الكيان الصهيوني وقطع العلاقات معه، فإن لم تفعل فهي واقعة تحت طائلة الحكم الوارد في الآية الكريمة بلا أدنى تأويل: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وعلى الدولة المصرية القيام بواجبها التاريخي والأخلاقي والإنساني، قبل أن يكون واجبها الإسلامي، فهي صاحبة السيادة على المعبر الوحيد لإيصال المساعدات الإنسانية والإغاثية لأهل غزة، ولا يمكن أن تبرأ ساحتها من المشاركة في هذه الإبادة الجماعية إلا بذلك.

خامسًا: يؤكد العلماء على أنَّ المقاومة الفلسطينية الإسلامية بكافَّة فصائلها هي من الطائفة المنصورة التي بشَّر بها النبي ﷺ أهل السنة والإسلام؛ فعَن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**» وفي رواية لمسلم (١٠٣٧): «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»، فهذه الطائفة المجاهدة الظاهرة هي القلب النابض لأهل

السنة على مرِّ الزمان، فلا تحاول الصفويةُ الإيرانية الخبيثة - بمشروعها الإجرامي الذي لا يستهدف إلا أهل السنة - أن ترقص على حبال متشابكة لتنسب لنفسها بطولات صاغتها دماء أبناء غزة الطاهرة، فقضية فلسطين وجميع قضايا الأمة بريئة من النظام الصفويِّ الإيرانيِّ، الذي لم يعرف له عبر تاريخه كله أي جهاد ضد أعداء الإسلام، ولم يرفع سيفه إلا على أهل السنة!

وتدعو رابطةُ علماء المسلمين الدولَ العربيةَ والإسلاميةَ إلى القيام بواجبها في نصرة فصائل المقاومة الفلسطينية الإسلامية، والقيام بواجب النصح لها، وألا تخذلها وتضطرها للجوء إلى الدولة الصفوية التي تسعى جاهدة لتوظيف ذلك في تبييض صفحتها والترويج لمذهبها الضال ومشروعها الإجرامي.

سادسًا: يحذر علماء المسلمين من المؤامرة الخبيثة على أهل فلسطين عامة وأهل غزة خاصة التي بدأت ملامحها تتشكل على الأرض وتظهر في تصريحات أكابر مجرميها، والتي تدور حول تهجيرهم قسريًّا من خلال اعتماد سياسة الأرض المحروقة التي يمارسها العدو الصهيوني باستخدام القنابل الأمريكية الهائلة التي تحصل عليها والتي يصبها فوق رءوس المدنيين، ويحذر علماء المسلمين أي دولة أو نظام تسول له نفسه أن يكون شريكًا في هذه الخيانة العظمى مقابل دولارات معدودة ومصالح موهومة.

سابعًا: لا ريب أنَّ عاقبة ما يجري اليوم على أرض فلسطين عامة وغزة

خاصة كلها خير بإذن الله تعالى، فسواء تحقق النصر الكامل والحسم العسكري لأهل غزة وللمقاومة أو تأخر لحكمة يعلمها الله - وإنه لقريب بإذن الله - وها هي المقاومة ثابتة وصامدة؛ تُلْهِم بهذا الثبات والصمود الجيلَ كله، وتنفض اليأس والقنوط عن كاهل المسلمين، وتبعث الأمل في قلوبهم.

وها هي الأنظمة الخائنة والمتآمرة تزداد انكشافًا وافتضاحًا؛ ليتحقق مقصود عظيم من مقاصد الصراع بين الحق والباطل، وهو استبانة سبيل المجرمين وفضح حقيقتهم وهتك أسرارهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]؛ لتعلم الشعوب من اليوم طريقَها معها، وها هي شعوب العالم تقرأ الإسلام على حقيقته في مشاهد الصمود والعظمة والإنسانية الراقية؛ فتعلم أنها على موعد قريب مع الدين الذي سيلبِّي فطرتها، ويحقق إنسانيتها، ويخرجها من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

ثبَّت الله المجاهدين، ونصر عباده المؤمنين، وألَّف برحمته بين قلوب المسلمين، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢].

بيانات الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين[١]

أصدر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بيانات عديدة حول معركة طوفان الأقصى وما تلاها من أحداث، وتلك عناوينها كما يلي:

- الاتحاد يدعو الامة الإسلامية والإنسانية إلى التضامن مع أسطول الحرية، لكسر الحصار وتوصيل المساعدات الغذائية والطبية إلى غزة: ٢٤/ ٤/ ٢٠٢٤م.

- الاتحاد يؤيد دعوة فضيلة شيخ الأزهر لوحدة العلماء بمختلف المذاهب، ويؤكد بأنها فريضة شرعية: ٨/ ٤/ ٢٠٢٤م.

- الاتحاد يدعو إلى جهاد شامل لمواجهة الظلم والعدوان، وينادي العالم الحر والأمة الإسلامية لوقف الإبادة الجماعية في غزة: ٤/ ٤/ ٢٠٢٤م.

- الاتحاد يدعو المسلمين لاستقبال شهر رمضان بالصيام والقيام والمسارعة بالخيرات، والجهاد بالمال للأشقاء في غزة، ووقف الإبادة والعدوان، ومحاربة الإعلام الهدام: ١١/ ٣/ ٢٠٢٤م.

- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يحذر من عواقب الاجتياح

---

(١) جميع هذه البيانات منشورة على الموقع الإلكتروني للاتحاد، على الرابط التالي:
https://iumsonline.org/ar/Sections.aspx?ID=10.

الصهيوني لمدينة (رفح) الفلسطينية، ويؤكد أن مقاومة المحتل واجب شرعي: ١٣/ ٢/ ٢٠٢٤م.

- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين: جنوب أفريقيا تتألق في الدفاع عن القيم الإنسانية، ونجحت ضد الطغيان الصهيوني، ويطالب دول العالم الحر والإسلامية الانضمام إليها في منع الإبادة الجماعية لأهلنا في غزة، ووقف العدوان: ٢٧/ ١/ ٢٠٢٤م.

- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يدين بشدة العدوان الأمريكي البريطاني على اليمن.. ويستنكر الازدواجية الأمريكية والبريطانية في التعامل مع دولة الاحتلال، والمسلمين: ١٤/ ١/ ٢٠٢٤م.

- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يدعو المسلمين وأصحاب الضمائر الحية إلى المشاركة بقوة في إضراب عالمي شامل غدًا الإثنين القادم (١١/ ١٢/ ٢٠٢٣) بغرض وقف الحرب على غزة: ١٠/ ١٢/ ٢٠٢٣م.

- الاتحاد يوجه دعوة عاجلة لتخصيص يوم الجمعة القادم يومًا لنصرة غزة، وحماية المسجد الأقصى من العدوان الصهيوني، داعيًا أمته، وأحرار العالم للتصدي، وليس للبيانات فحسب: ٦/ ١٢/ ٢٠٢٣م.

- الاتحاد يدعو الحكومات الإسلامية والمؤسسات الإغاثية بالتحرك السريع، بتوجيه الزكاة والأوقاف لدعم قطاع غزة: ٢٤/ ١١/ ٢٠٢٣م.

- رسالة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين إلى قادة الأمة الإسلامية

بشأن الجرائم الفظيعة والإبادة الجماعية في غزة: ٢٤/ ١٠/ ٢٠٢٤م.

- البيان الختامي للاجتماع الطارئ لمجلس أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين حول «العدوان الصهيوني على غزة العزة»: ١٩/ ١٠/ ٢٠٢٣م.

- الاتحاد يدعو لتشكيل حلف عربي إسلامي دولي؛ لمنع إبادة غزة وترحيل أهلها على غرار عام ١٩٤٧م: ١٧/ ١٠/ ٢٠٢٣م.

- الاتحاد يدين تدمير الأبراج والمنازل وقتل الأبرياء في غزة، ويستنكر الصمت العالمي، والمواقف المزدوجة لبعض الدول: ٨/ ١٠/ ٢٠٤٣م.

- الاتحاد يؤكد على فرض مقاومة المحتل لتحرير الأراضي المباركة، ويندد بالاعتداءات الصهيونية على الأقصى والشعب الفلسطيني: ٧/ ١٠/ ٢٠٢٣م.

وفيما يلي ننشر نص أحد هذه البيانات:

الاتحاد يدعو إلى جهاد شامل لمواجهة الظلم والعدوان، وينادي العالم الحر والأمة الإسلامية لوقف الإبادة الجماعية في غزة[١] :

قال الله تعالى في مُحكَم التنزيل: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) ألقي هذا الخطاب بمركز المَنارة للمُؤتَمرات، بالقاهرة الجَديدة، في ٢٧ رمضان سنة ١٤٤٥هـ،الموافق: ٦/ ٤/ ٢٠٢٤م.

وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].

إن الجرائم التي يرتكبها الكيان الصهيوني العنصري في قطاع غزة إبادة جماعية تمثل إساءةً خطيرةً، وهدمًا لجميع القيم الإنسانية، وتنبعث من عقول مريضة وقلوب ملوثة بالكراهية والتعصب.

إن قتل الأبرياء وتعذيب الأطفال والنساء والشيوخ والعلماء، وهم رموز من رموز الحياة والمعرفة والرحمة، يعد انتهاكًا فظيعًا لكل القيم الإنسانية والأخلاقية التي دعت إليها جميع الأديان السماوية.

نحن في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين لا نكرر إدانتنا لهذه الجرائم الوحشية، بل ندعو أمتنا الإسلامية إلى مقاومة حقيقية، وجهاد شامل لمواجهة هذا الظلم والعدوان السافر، وندعو العالم الحر إلى وقف إطلاق النار الفوري والعاجل قبل حلول عيد الفطر المبارك، ونطالب بتحرك فوري من قبل المؤسسات الدولية والمنظمات الحقوقية لوقف هذا النزيف الإنساني، والتدخل لإنقاذ الأرواح وحماية الأبرياء.

كما ندعو الشعوب العربية والإسلامية والإنسانية، والمؤسسات والهيئات والنقابات والشركات العالمية إلى ممارسة الضغط الدولي على حكوماتهم لوقف الدعم المالي والسياسي والعسكري لهذا الكيان الغاشم، وإلا فليقوموا برفع قضايا ضد هذه الحكومات في المحاكم الدولية، بتهمة

دعم كيان يقوم بالجرائم ضد الإنسانية، والمساهمة في الإبادة الجماعية في قطاع غزة.

إننا نستند إلى بياناتنا السابقة والواقعية في دعوتنا إلى فتح المعابر للسماح بدخول المساعدات الإنسانية إلى غزة، وإذا فشلت الحكومات في ذلك، فإنهم سيكونون شركاء في مجاعة وموت الشعب الفلسطيني في غزة.

ندعو الجميع إلى تنظيم مسيرات واعتصامات سلمية وضخمة أمام السفارات الداعمة لهذا الكيان الغاشم والمحتل في جميع عواصم العالم، في جمعة الغضب، وفي كل أيام العيد، للتنديد بدعمهم اللامحدود للقمع والقتل والتطهير العرقي.

كما ندعو الأئمة والخطباء في كل مساجد العالم إلى تخصيص خطبهم لرفع الوعي بهذه الجرائم الوحشية، ولدعم كل الجهود الدولية والمحلية التي تسعى لإنهاء هذا الظلم والاستبداد.

نحن ندعو بإلحاح المؤسسات الإغاثية الدولية والإقليمية لإرسال المساعدات الإنسانية إلى الشعب الفلسطيني في غزة، عن طريق المعابر المرتبطة بها مباشرة، وليس من خلال التعامل مع الكيان المحتل الذي يفرض حصارًا غير قانوني على قطاع غزة، ويعيق وصول المساعدات إليهم.

ونناشد الحكومات الإسلامية بتحمل مسؤولياتها الإنسانية والأخلاقية في كسر الحصار، ودعم هذه المؤسسات الإغاثية لتقديم المساعدات

الضرورية للمحتاجين.

إن حماية هذه المؤسسات وتيسير عملها هو واجب إنساني وديني، يجب على الحكومات الإسلامية الوقوف إلى جانبها، وتقديم الدعم اللازم لها.

وأخيرًا: فإننا نثق بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ على تحقيق النصر لأهلنا في غزة العزة وإنهاء الظلم، وندعوه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن يُعجل بفرجه، وأن يحفظ الشعب الفلسطيني، وينصرهم على هذا الكيان المغتصب والظالم، إنه سميع مجيب الدعاء.

والله ولي التوفيق.

الخميس: ٤ أبريل ٢٠٢٤

الموافق: ٢٥ رمضان ١٤٤٥هـ

فتوى هيئة علماء فلسطين نصرة لطوفان الأقصى[١]

الحمد لله ناصر المجاهدين، ومذل الصهاينة المعتدين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على إمام المجاهدين، وعلى صحابته الفاتحين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن من واجب علماء الأمة عند حدوث النوازل العظيمة والأحداث الكبيرة والملاحم الفاصلة أن يكونوا حاضرين في البيان والتبليغ، لا يخشون في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وإن أرض فلسطين المباركة وغزة العزة تسطر اليوم أعظم ملاحم البطولة والفداء والدفاع عن المسرى والأسرى في معركة «طوفان الأقصى»، ومواكبة لهذا الحدث العظيم وهذه المعركة الفاصلة، فإن علماء الأمة الإسلامية يصدرون فتواهم الواضحة والصريحة؛ تبيانًا للحكم الشرعي، كما يلي:

أولًا: إن ما يقوم به المجاهدون في سبيل الله تعالى في معركة طوفان الأقصى هو أعظم أعمال الإسلام في هذا العصر، وهو جهاد مبرور لدفع

---

(١) نشرت الفتوى على موقع الهيئة على الرابط التالي:

https://palscholars.org/news/فتوى-علماء-الأمة-نصرة-لطوفان-الأقصى/

العدوان والذود عن الدين والمقدسات والحرمات، قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٧].

ثانيًا: مع اندلاع هذه المعركة التي أعلن عنها أهل الاختصاص الذين هم أهل الذكر في مجالهم، وبينوا بجلاء الحاجة الماسة إلى انخراط الأمة في المعركة بكل تفاصيلها، وانتقال المرحلة إلى مرحلة الجهاد المباشر مع العدو الصهيوني، فإن الواجب الشرعي على كل مسلم بالغ عاقل أن ينفر استجابة لهذا الاستنفار، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال ﷺ: «**وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا**» أخرجه البخاري، ويجب على كل مسلم أن يجد بابًا وطريقًا لتلبية النفير بنفسه وماله وكلمته وموقفه.

وإن هذا الواجب يختلف باختلاف البقاع والمواقع والتخصصات. وكل من يقصِّر عن بذل وسعه يخشى عليه أن يدخل تحت حكم التولي يوم الزحف؛ وهو من السبع الموبقات ومن أكبر الكبائر، قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٦]. وقال رسول الله ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ فذكر منهن: **التَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**» أخرجه البخاري.

ثالثًا: إن من أوجب الواجبات على كل مسلم أن يسهم في دعم

المقاومة بماله في سبيل الله؛ فقد قرن الله عَزَّوَجَلَّ بين الجهاد بالمال والجهاد في النفس وقدمه عليه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

رابعًا: إننا نؤكد على حرمة التطبيع مع العدو الصهيوني بأي شكل من الأشكال، وأن أي تطبيع مع هذا العدو المغتصب باطل شرعًا، ولا تترتب عليه أية آثار أو التزامات.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٣ ربيع الأول ١٤٤٥ هـ

الموافق ٨ أكتوبر ٢٠٢٣م

الخاتمة

وبعد...

فهذه تحية إلى أولئك العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، والربانيين القرآنيين، الذين قاموا على تربية تلك الثلة المباركة من المجاهدين على رُبى فلسطين، الذين ذكَّروا الأمة ببطولات الفاتحين، وجهاد الزنكيين والأيوبيين، رحمهم الله أجمعين!

وهذه تحية لطلبة العلم الذين هم بسبيلهم ليكونوا أئمة مؤتمنين على معاقد الدين، ومحكمات الشريعة، وقضايا الأمة؛ ليسلكوا سبيل أسلافهم الصالحين في التمكين لهذا الدين، يقدمون للعالمين رسالة رب العالمين، سالمة من كل تحريف، خالصة من كل تزييف، ملتزمين بواجب العبودية اتباعًا، قائمين بواجب عمارة الأرض إبداعًا، في دعوة للتجديد والاجتهاد في الدين من أهله، وفي محله، معتزين بدينهم وهويتهم دون تقوقع، ومنفتحين على غيرهم دون تميع، متحققين بقول الحق: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وبقول الملك: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

مُحتويَات الكِتابْ

تم بحمد الله